أشهر الأساطير الفرعونية

د. أيمن عادل



دار مشارق

أشهر الأساطير الفرعونية

إعداد

د. ايمن عادل

الناشر

دار مشارق

اشهر الاساطير الفرعونية

أيمن عادل

رقم الإيداع: ٢٤٩٧ / ٢٠٠٨

دار طيبه للطباعه - جيزة

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

دار مشارق للنشر والتوزيع

١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب - طالبية - فيصل

ت: ٣٧٧٢٤١٨٠٣ - ٠١٢٦٨٧٢٩٠٦ - ٠١٠٥٥٩٣٣١٧

E-mail : mshareq@ hotmail. com

مقدمة

تعتبر الأساطير المصرية من أهم جوانب العقيدة المصرية القديمة لأنها تعكس فكر وعقيدة المصري القديم.

كانت حياة الآلهة وتصرفاتهم مادة خصبة للكهنة لتغزل حولها حكايات وأساطير كثيرة.

لقد أصبحت تلك الأساطير بعد ذلك معقدة للغاية ،كما أصبحت عماد من عمائد الديانة المصرية .

ان الطابع الاسطورى طابع ساحر يحمل عبق التاريخ بين طياته ، فمن منا لاينبهر بكل ما يسمعه عن الاساطير الفرعونيه ، ثم انه علينا الا ننسى ان هذا يتناسب تماما مع اجواء السلسله لان واقع الابطال يختلف عن واقعنا ، وما يبدوا لنا اسطوري و خيالى و غير واقعى يبدوا لهم طبيعى تماما والعكس صحيح

وسنذكر فى هذا الكتاب أهم الأساطير التي آثرت في فكر وعقيدة المصري القديم.

د/ ايمن عادل

سنوهی

سنوهى
«ابن الجميزة»

كان «سنوهى» ومعناه «ابن الجميزة» أميراً، وقامت الحرب بين مصر ولوبيا فى الدولة الوسطى فى عهد الملك «أمنمحيت» الأول مؤسس الأسرة الثانية عشر الذى انتعشت فى عهده الفنون والآداب، فأرسل الملك ابنه وولى عهده «سنوسرت» الأول على رأس جيش كبير لمحاربة اللوبيين فى غرب الدلتا، وكان الأمير «سنوهى» بين قواد هذا الجيش الذى حارب وانتصر وغنم غنائم كثيرة من أسرى الحرب بعد أن شتت شمل الأعداء.

ولما كان «أمنمحيت» كبيراً فى السن فقد توفى فى اليوم السابع، من الشهر الثالث فى فصل الفيضان، وذهب إلى السماء، والتحق برع (إله الشمس)، فساد الحزن على القصر، وأغلقت البوابات، ولبست مصر الحداد حزناً عليه، وتشاور رجال البلاد وهم وجوم فيما يعملونه، واتفقوا على أن يرسلوا رسولاً أميناً ليخبر ولى عهده سراً بوفاة والده، ويتضح أنه كان بين «سنوهى» وولى العهد نزاع وعداء، وبينما كان «سنوسرت» ولى العهد يحادث الأمير، إذا بالرسول يصل مسرعاً ويطلب مقابلة ولى العهد منفرداً ليقول له شيئاً، فأمر ولى العهد كل من كان معه بالانصراف فانصرفوا إلا «سنوهى» فإنه اختفى فى إحدى زوايا الغرفة، وسأل «سنوسرت» الرسول مستفسراً فأخبره وهو ينتفض اضطرابا بوفاة والده الملك «أمنمحيت» فوجم ولى العهد وحزن حزناً شديداً ولم يسمع هذا الحديث طبعاً سوى «سنوهى» الذى كان مختفياً بالمكان، وخاف على نفسه من الملك الجديد.

ولما خرج ولى العهد مع الرسول انتهز «سنوهى» هذه الفرصة وعول على الهرب وولى وجهه شطر الجنوب ونام بأحد الحقول إلى أن أصبح الصباح فعبرالنهر ومنه سار فى الصحراء شمالاً حتى وصل إلى سيناء، ولما أعياه التعب، وأنهكه الظمأ وصمت فمه عن الكلام قال: «الآن بدأت أتذوق طعم الموت» ولكنه جاهد وتجلد شأن من بلغ به اليأس مبلغه إلى أن سمع صوت رجل وخوار بقرة ففرح بوصوله إلى مكان عامر، وحدث أن تقابل مع أحد البدو فأحسن لقاءه، وأكرم وفادته وقدم له ماء ليشرب ولبناً ساخناً، وكان هذا الرجل رئيساً لإحدى القبائل وعرف أن «سنوهى» مصرى فزاد فى إكرامه، ولما استراح «سنوهى» من تعب سفره الطويل ترك الرجل وتنقل بين قبيلة وأخرى حتى وصل إلى أرض عامرة وحط رحاله هناك.

ومر على ذلك ما يقرب من العام أرسل بعدها «عمونيش» رئيس قبيلة يتونو العليا» إلى «سنوهى» رسالة قال له فيها: «تعال وأقم معى واسمع اللغة المصرية بيننا» فذهب «سنوهى» إليه فسأله رئيس القبيلة: «أخبرنى لماذا فررت إلى هذه البلاد، وهل لذلك من سبب».

فأجابه «سنوهى»: «إنى فررت من بلاد لوبيا رأساً إلى هنا ولم ارتكب خطأ، وما دبرت دسيسة، وما فكرت فى مؤمراة، وحقاً لا أستطيع التعبير عن السبب الذى هربت من أجله، فقد كنت مطيعاً «لحوبس» (لقب الملك «أمنمحيت» الأول) ومخلصاً أميناً له.

ثم سكت «سنوهى» لحظات وتكلم بعدها قائلاً: «أعلم الآن أن «سنوسرت» الأول ابن الملك تولى العرش، وأنه أمير عادل، يعرف كيف

يحمى سيــفه، وهو محارب ماهر ليس له نظيـر، وهو يكتسح سكان النوبة أمامــه، ويقطع داير اللصوص، ويسحق رأس كل من يعـارضه، فهو حـقاً بطل ذو بطش، وإذا تصدى له أعداؤه فهو يفتـرسهم كالأسد، وهو محبوب من الأرض جمـيعاً، وتطيـعه رعايـاه بإخلاص وفرح،وهو يمـد فى حدود بلاده جنوباً، ومع ذلك لا يريد أن يغزو البـدو، فإذا حضر إلى هنا فـأخبره بأنى أقيم بينكم».

وبعد أن سمع رئيس القبيلة حديث سسنوهى» رد عليه قائلاً: «رغبتى أن تعيش مصـر بسلام،وأما أنت فعلى الرحب والسـعة مادمت قائمـاً بيننا كما ترغب».

ثم تزوج «سنوهى» ابنة هذا الرئيس وجعله رئيساً لإحـدى القبائل ومنحه أرضاً بها عنب وتين، ونبيذ ولبن وعسل وزيتون وقـمح وشعير وقطيع كبير من الماشية المختلفة.

وصار «سنوهى» كـأمير البـلاد محترمـاً مبجـلاً وكان يعيش يومـياً على اللحوم المطبوخة والطيور المشوية التـى كان يصطادها بنفسه، أو يحضرها له عبيده، وكان يقدم له الزبد واللبن وكل ما كانت تشتهيه نفسه.

ومرت السنون والأعـوام وأعقب «سنوهى» أطفالاً شبـوا وترعرعوا، ولما كبروا كان لكل منهم قبيلة يرأسها، وكانت كل القبائل التى تجوب الفيانى تمر «بسنوهى» فكان يكرم وفادتهم ويقدم لهم الطعام والماء، وكان إذا غبن رجل أو سرق يعوض له «سنوهى» ما فقده بعد أن يثأر له ممن ظلمه.

وكم من مرات حاولت البلاد المتاخمة لأرض مولاه الذى أكرمه غزوها فكان «سنوهى» الذى عين قائداً لجيشه فى البلاد يردها خائبة على أعقابها، فقد كان «سنوهى» عالماً بشئون الحرب والدفاع عن الأرض وكان يستولى على غنائم عديدة من أسرى وعبيد وحيوانات، واشتهر فى ساحة الوغى بشجاعتة وأنه يعرف كيف يستخدم حسامه وقوسه، وكان يقسم فرقه بكل ذكاء حتى يحاصر العدو ويقضى عليه، فأحبه الرئيس جداً ورقاه ورفعه إلى أعلى منزلة فى بلاده وحباه برعايته.

وقد نشأ عن حب سيد البلاد «لسنوهى» وترقيته وأعطائه هذه المرتبة، أن دبت الغيرة فى قلب أحد سكان البادية وكان مشهوراً بشدة بطشه بين أبناء جلدته، حتى أنه كان يذبح كل من يقف فى وجهه معارضاً.

فقال هذا الرجل لابد لى من منازلة «سنوهى» فإنه لم يرنى بعد، ورغب فى ذبح «سنوهى» المصرى حتى يحل محله ويستولى على أراضيه وأملاكه، وفعلاً تحدى الرجل البطل «سنوهى» وقلق الحاكم لذلك وتحدث مع «سنوهى» فى الأمر فرد عليه «سنوهى» قائلاً: «أنا لا أعرف هذا الرجل، إنه ليس من درجتى ولا أهتم بهذا الطراز من المغالين، ولم ارتكب خطأ ضده، فإذا كان لصاً يود استلاب أمتعتى وأملاكى فخير له أن يحترس ويعرف كيف يقدر نفسه أمامى، هل يظن أنى عجل صغير وأنه ثور محارب، فإذا أراد منازلتى فدعه يفكر فى رغبته، هل ستنسانى الآلهة، وما قدر الله سيكون».

وبعد أن فاه «سنوهى» بتلك الكلمات عاد إلى خيمته واستراح قليلاً، ثم أحضر قوسه ونشابه وأعدهما لمنازلة خصمه.

وعندما حل الفجر هرعت الناس جـماعات فى المكان المحدد للنزال حتى أن كثـيرين من سكان القبـائل المجاورة جاء ليـشهد المبـارزة بين بطل البدو وبطلنا المصرى «سنوهى» وبـينما الناس فى ضوضاء وجـلبة ويفكر الكل فى المصير، إذا بالمحارب البدوى يتقدم فيصمتون جـميعاً يتهامسون فيما بينهم: «هل يسـتطيع إنسان مـا أن يتغلب علـى هذا البطل، انظر إنه يحمل تـرساً وحربة وفأساً ومـعه عدد كبير من النبال» وهنا أقـبل «سنوهى» بكل شجاعة مخترقاً الصفوف، والكل معجب بشهـامته وشجاعته ووقف وجهاً لوجه أمام غريمـه، وكان رجال قبيـلة الحاكم الأكبر يرجـون «السنوهى» النصر وهم فى هرج ومرج، بينمـا كانت النساء تتصـايح خوفاً وشفـقة عليه، فمـا كان من عـدوه إلا أن بادره بإحدى نبـاله فتلقـاها «سنوهى» برزانة وصـدها بترسـه فوقعت إلى جانـبه على الأرض دون أن يصيبه ضرر، ثم حـرك العدو فأسه نحو «سنوهى» الذى كان أسرع منه فصوب نحو صـدره سهماً بخفة وسرعة فائقة أصابت من العـدو مقتلاً فى رقبته فسقط علـى الأرض جثة هامدة بعد صيحة عالية، ولما تم النصر لبطلنا «سنوهى» صـاح صيحة الفرح والانتصار شاكراً الإله «منتو» (إله الحرب عند قدماء المصريين)، وتبدل الحال بين الناس إلى فرح عظيم فصـاحوا وصفقوا وهتفوا بحـياة «سنوهى» لأنه أراحهم من شرور ذلك الطاغية وآثامه، واسـتراحت نفس الحاكم الأكبر وضم «سنوهى» إلى صدره وقبله بحنان وفرح.

وبعد أن تم النصر «لسنوهى» ذهب رأساً إلى منزل عدوه وهدمه واستولى عليه وعلى كل ما يملكه من ضـياع وحيوان وضمهـما إلى ممتلكاته وأصبح فى يسر وغنى.

وطالت أيام الغـربة الطويلة وسارعت الشـيخوخـة الخطى إلى «سنوهى» وهو بعيد عن مصر، ودب الحنين إلى الوطن فى قلبه، وتخيل مصر العزيزة بلاده وأرضها الخضراء النضرة، وسمـاءها الزرقاء الصافية، وخاف أن تدركه المينة وهو بعيد عنها، وتمنى لو مـات ودفن فى أرض بلاده، ففكر كثيراً فى الأمر حتى هـداه تفكيره إلى أن يرسل مع رسول أمين خطاباً إلـى فرعون، فكتب رسالة وعنونها باسم صاحـب الجلالة، ابن الشمس «سنوسرت»ملك مصر قـال فيها: « فررت من مـصر ومازال اسمى يردد فى القصـر ،وحينما فررت قاسـيت ألم الجوع والعطش، وأما الآن فأنا أجـود على الغير، كنت عارياً عندما فررت ولكنى الآن ألبس الكتـان، كنت فقيراً أثناء فرارى والآن أصبحت مالكاً للأراضى والمنازل وألتمس مـن جلالتكم السماح لى بالعودة إلى مسقط رأسى مـصر المحبوبة، التى أحبهـا، حتى إذا ما أدركنى الموت، أحنط وأدفن بأرض الأبدية، فـأرجو السـماح لى بالعودة إلـى الوطن، وقد قدمت القرابين لآلهة حتى تحقق رغبتى وتجيب دعائى لأن قلبى مملوء بالحزن لغربتى البعيدة عـن أرض الوطن، هل تجيب جلالتكم طلبى.. وتسمح لى بالعودة مرة ثانية إلى بلادى العزيزة حتى أعيش بين رعاياك الذين يحبونك؟ إنى أحى المملكة من قلبى وأرجو أن أرى أولادكـم فترد الحياة إلـى جسدى فرحاً.

استـولى عليّ الكبـر، وخارت قواي وأصـبحت فى دور اليـأس وثقلت عيناى وضعـفت ذراعاى، ولا أقوى على السيـر، واضطرب قلبى، وقربت من الوفـاة ما أسعـد من يموت فى وطنه ويوم دفنـى ليس يعيد وفـاتى هل

يسمح لى برؤية مولاتى الملكة لأسمع حديثها عن أطفالها حتى يسر قلبى للنهاية» . .

ووصل الرسول إلى مصر وتشرف بمقابلة الملك «سنوسرت» الأول وسلم الرسالة لجلالته، فلما قرأها تأثر لها وسر منه، وفى الحال عفا عنه وأرسل إليه الهدايا مع خطابات منه ومن أبنائه الأمراء، وكتب له ما يأتى: «أمر ملكى من حوريس «خبر كارع» ابن الشمس سنوسرت»: ماذا فعلت وماذا عمل ضدك حتى فررت من البلاد الأجنبية البعيدة دون ذنب اقترفته، إنى أعلم أنك لم تطعن على، ولم تخالفنى، فلا تعلق كثيراً على الأمر والمملكة مسرورة فى وسط أبنائها، اترك كل ممتلكاتك وعد إلى الوطن، وعند العودة ستقيم معى فى القصر، وستكون صديقى المقرب، ولا تنس أنك تكبر يوماً بعد يوم، وقوتك تخور، وقد قربت من القبر، وأعدك بأنك ستعطى دفنة طيبة وستحنط، وستنوح عليك الحزانى فى يوم الجنازة، وسيكون لك تابوت مغطى بالذهب، وستقدم القرابين على روحك، وستنحر الضحايا على باب قبرك وتوزع لحومها على الفقراء، وسيشيد لك هرم تدفن فيه بجانب الأمراء، ولا يجب أن تموت فى تلك البلاد النائية ولا يسمح أبداً للبدو بأن يكفنوك بجلد غنم».

وعندما عاد الرسول إلى «سنوهى» سلمه رسالة مولاه الملك ففضها وقرأها ولما انتهى من قراءتها فرح وفاضت دموعه حناناً وعطفاً،ثم ألقى بنفسه على الأرض وقفز صائحاً: «هل من المحتمل أن مثل هذا الخطاب الرقيق يأتى إلى شخص خائن هرب من وطنه إلى بلاد الغربة»؟

وأرسل إلى الملك رسـالة قـال فيـهـا : «أيها الإله القـوى، من أنا حـتى تغمرنى بهذا العطف، فلم تكن رغبتى الفرار من أرض مصر، وهربت وكان الخوف قـد استـولى على نفسى ولكـنى كما أمـرتم سأترك كل مـا أملك، وسيرثنى ورثتى هنا، أسأل لجلالتكم العمر الطويل».

وبعد أن أرسل «سنوهى» الخطاب إلى الملك، أقام حفلة قـسم فيها ثروته بين أبنائه وعين أكبرهم رئيسـاً مكانه، وودعهم بحزن وألم عائداً إلى أرض الوطن العزيز، وقابله عند الحدود قائد كبير ثم وصل إلى شاطئ النهر حيث وجد مركبـاً راسية محملة بالهدايا وكم كان فـرح «سنوهى» عظيماً لما وجد نفسه بين أبناء جلدته وهم يجدفون ويغنون بنغماتهم المطربة (شأن الملاحين) فكان يحادثهم وكـأنه أحدهم والسرور بادعليـه، إلى أن مرت الليلة الأولى وأصبح الصبـاح وإذا بالقصر قد ظهـرت واجهته ، فلمـا اقترب منه رست المركب وصعد على شاطئ النهر وصـار حتى وصل إلى باب القصر، فوجد الأطفال فى مدخله ينتظرونه مع النبلاء الذين قادوه إلى الملك وهو لا يدرى فالذهول مستول وكأنه فى حلم جميل.

فلما دخل على الملك وجده جالساً على عرشه فى «القاعة المزينة بالذهب والفضـة» ولم يعرفه الملك فى أول الأمـر، إلا أنه وجه إليـه كلمات بلطف وعطف، غير أن «سنوهى» ارتج عليه القول ولم يستطع جواباً،وأغمى عليه من شدة الفرح وقفلت عيناه، وخارت قواه وكأنه يموت.

وأمر فرعـون النبلاء قائلاً: «ساعـدوه على النهوض حتى نتحـادث ملياً» فرفعه رجال البلاد وقال له جلالة الملك: «ها قد عدت إلينا ثانياً، لقد كبرت

يا «سنوهى» لم لا تتكلم هل أصبحت مخادعاً مثل البدو، قل لنا اسمك، وماذا سبب لك الخوف»؟

فقال «سنوهى» لقد وهنت قواتى وليس لدى ما أقوله، ولم أفعل شيئاً أستحق عليه عقاب الآلهة، إنى مغمى على وقلبى يشعر بالضعف، إنى فى حضرة جلالتكم، وحياتى بين يديكم، فافعل بى ما تريد».

ثم التفت جلالة الملك «سنوسرت» إلى الملكة قائلاً لها: «هذا هو «سنوهى» جاءنا اليوم بدوياً».

فعجبت الملكة لمرآه وقالت وهى محوطة بزبنائها: «حقاً إنه ليس هو».

فقال الملك: «كلا إنه «سنوهى» قد غيرته الغربة ثم قص عليهم «سنوهى» قصة هربه وما لاقاه من ألم وحدثهم عن حياته وعن زواجه من ابنة الحاكم.

ففرح به الأطفال وصاحوا وغنوا أمام الملك وشكروه وتوسلوا إلى الآلهة أن يتم عليه الصحة والعافية والسعادة واعتذروا للملك عن هفوة «سنوهى» والتمسوا له العفو عنه.

فقال الملك: «يا سنوهى لا ترتعد فى حضرتى، لأنك ستكون صديقى ورئيساً بين موظفى البلاط وأحد رجاله».

وقادوه إلى الغرفة الخاصة المعدة له وحياه الأطفال بالفرح والسرور، وأعطى له مسكن ملكى ليقيم به داخل القصر، وقدم له أفخر الطعم والفواكه فأكل وشرب، ثم ارتدى الملابس الملكية وتعطر بالروائح الذكية، وخرج ليتحدث إلى رجال البلاط، وعاد إليه شبابه وحلق لحيته ووضع على

رأسه شعراً مستعاراً (شأن النبلاء فى مصر الفرعونية) ولما حل المساء عاد إلى منزله ونام على سرير ذى فراش وثير لم يشعر به جسده فى الصحراء التى فر إليها، وكم كان سروره عظيماً حينما كانت تتجمع الأطفال حوله.

وأمر جلالة الملك «سنوسرت» بتشييد هرم «لسنوهى» وعمل التماثيل المزينة بالذهب له وأحاطه بعنايته حتى أن الكاتب المصرى القديم الذى كتب هذه القصة قال إن الملك شمله بعطفه حتى يوم الوفاة فدفن باحتفال مهيب.

* * * *

البحار الغريق

البحار الغريق

وهى قصــة موظف مصــرى كبير من منطـقة إلفنتين، ســافر بتكليف من فرعون إلى الأقالـيم الجنوبية على رأس بعثة بحرية لم ينجح فـيها وعاد إلى بلاده مصر بعد سفر شاق طويل لاقى فـيه أهوالاً وشدائد، وكان فشله سبباً فى حيرته وارتبــاكه ولم يدر كيف يتقدم لمقابلة الملك، إلا أن أحـد أصدقائه هون عليه الأمر وشجعه على أن يذهب للقصر ويفضى إلى الملك بما لاقاه.

وهذه القصــة تشبه قصــة السندباد البحرى من أساطيــر ألف ليلة ولية أو قصة روبنسون كــروز الإنجليزية، وها هى القصة كما يرويهــا البحار المصرى بنفسه.

«قال التابع المحترم، ليوفق قلبلك يا مولاى، انظر لقد عدنا إلى الوطن، وأخذ المطرقة، ودق الوتد وربط حبل المركب على الشاطئ، وشكرنا الإله، وعانق الصديق صديقه، وأتتنا الأوامر بوصــولنا بالسلامة، ولم نفقد واحداً من جنودنا بعد أن وصلنا حـدود «ووات» وعبرنا إلى «سنموت» (وموقـعها الآن البـيجـا بالقـرب من إلفنتـين)، انظر لقد وصلـنا بالسلامـة إلى أرض الوطن، اســتـمع لى يا مـولاى فلست مـبالغـاً. اغـتـسل وصب الماء على أصــابعك، ثم أجـب (أى قص الحكاية على الملك) وقلـبك مـعك، أجب بدون تردد ولا وجل، فم (أى لسان) الإنسان ينجيه، وقد تكون كلامه سبباً فى تورطه، فافعل (أى قص الحكاية) كما توحيه رغبة قلبك، إنه من المتعب أن أقصها عليك».

قصة البحار

ومع ذلك فسأقص عليك ما حل بى أنا نفسى: «بينما كنت ذاهباً إلى مناجم مولاى فرعون ركبت البحر الكبير (كما كان يسمى البحر الأحمر فى النصوص المصرية القديمة) فى مركب طولها ١٥٠ ذراعاً (أى ٧٥ متراً) وعرضها ٤٠ ذراعاً (أى ٢٠ متراً) وكان معى فيها ١٥٠ بحاراً من نخبة رجال مصر الذين رأوا السماء والأرض (أى محنكين فى السياحة) وقلوبهم أقوى من قلوب السباع، وتنبأوا بالعاصفة قبل هبوبها، والشر قبل وقوعه، واشتدت الريح بينما كنا فى البحر قبل أن نشرف على البر وكانت الأمواج تثب ثمانية أذرع (٤ أمتار) وأمسكت بفرع خشبى، وتهشمت السفينة، ولم أجد أحداً ممن كانوا معى فيها، وحملتنى أمواج البحر إلى شاطئ جزيرة، حيث قضيت ثلاثة أيام وليس معى سوى قلبى، وأظللت نفسى ورقدت ونمت فى مكان خفى من الغابة، ولما أفقت طفقت أبحث عن شىء لفمى (أسد به رمقى) فوجدت فيها تيناً وعنباً وخضراً وسفرجلاً فاخراً وجميزاً وخياراً، ورأيت بها كذلك سمكاً وطيوراً وليس ثمة شئ إلا ويوجد بها منه، فأشبعت نفسى وأرقدت ناراً قرباناً للآلهة.

ثم سمعت صوتاً مرتفعاً، ظننته موجة من أمواج البحر، واهتزت الأشجار وزلزلت الأرض، فكشفت وجهى (رفعته) فوجدت أفعى تسعى طولها ٣٠ ذرعاً (١٥ متراً) ولحيتها كانت أطول من ذراعين (متر واحد) وجسدها مغطى بالذهب، ولون صدرها أزرق كاللازورد وذيلها كان أمامها.

وفتحت فمها نحوى فسجدت أمامها وقالت لى: «ما الذى جاء بك إلى

هنا أيها المسكين؟ مـا الذى جاء بك إلى هنا أيها المسكين؟ أخـبرنى ما لذى جاء بك إلى هذه الجـزيرة بدون تأخير؟ وإلا سـأجعلك تعرف قـدر نفسك (سأريك مـن أنت) ستصـير شـعلة من النار، وتصبح كـمن لم يكن إذا لم تقص على شيئاً لـم أسمعه من قبل» وكنت أمامها كمن لا يعرف نفسه.

ووضعتنى فى فـمها، وحملتنى إلى جحـرها، ثم وضعتنى على الأرض ولم يصبنى سوء، ثم فـتحت فمها فـسجدت أمامهـا على بطنى وقالت لى: «ما الذى جاء بك أيها الطيب؟ ما الـذى جاء بك أيها الطيب؟ ما الذى جاء بك إلى هذه الجزيرة التى تقع شواطئها على البحر»؟

ثم أجبت هكذا لهـا، وقد مددت ذراعى: «أرسلت فى بعـثة إلى مناجم فرعون فى مركب طولها ١٥٠ ذراعاً وعرضها ٤٠ ذراعاً بها ١٥٠ بحاراً من نخـبة رجـال مصـر الذين رأوا السـماء والأرض وقلوبهم أقـوى من قلوب السباع، وتنبئوا بالعاصفة قـبل هبوبها، والشر قبل وقوعه، وكان لكل منهم قلب وذراع أقوى من أخيه، وبينما كنا فى وسط البـحر هبت الأمواج ثمانية أذرع وكسرت السفينة قبل أن نصل إلى البر فأمسكت بفرع خشبى، ولم ينج أحد سواى، ودفعتنى الأمواج إلى هذه الجزيرة.

فأجـابتنى الأفعى بينمـا كنت ساجـداً على بطنى أمامـها: «لا تخف! لا تخف أيها الصـغير، ولا تجعل وجهك يعـبس، لقد أتيت إليّ وها هو الإله قد سبب لك الحياة، لأنه أرسلك إلى جزيرة الروح (القرين) التى لا ينقصها شىء، إنها مملوءة بالخيرات، والآن ستقضى شـهراً بعد شهر حتى تمر عليك أربعة شـهور فى هذه الجـزيرة، ثم ستـأتى مركب من بـلادك وعليهـا بحارة

تعرفـهم فتـبرح معـهم إلى الوطن وتموت هناك، ما أسـر ما وقع لك فـهو يذهب الهمـوم، ودعنى إذن أخبرك بما فى هذه الجـزيرة، فإنى كنت هنا مع أخوتى، وحولى أولادى كنا حوالى ٧٧ حيـة ولا أذكر لك ابنة صغيرة وقع عليها نجم من السماء فأحرقهـا، أما إذا كنت صابراً جداً، فإنك ستعود إلى بلادك، وستـضم أطفالك، وسـتقبـل زوجتك، وأكثـر القول إجـمالاً أنك ستعود إلى وطنك وسترى أطفالك وستعيش بين إخواتك».

فانحنيت أمامها على بطنى حتى وصلت إلى الأرض وقلت لها: «سأقص سر قوتك . على فرعون وسأجعله يعرف قدر عظمتك وسأقص عليه ما وقع لى وما أراه الآن، وسأشكرك فى المدينة أمام جميع الموظفين، وسأذبح ثيراناً قرباناً لك وسأذبح لك طيوراً وسأحضـر لك سفناً محملة بالعطور وخيرات مصر كما يقدم لإله يحب الناس فى أرض لا يعرفها الناس بالمرة».

فابتـسمت الحيـة لما قلته، وقـالت لى: «ليس عندك عطور كثـيرة وليس عندك إلا عطور المعبـد، أما أنا فإنى حـاكمة «بونت» (الصومـال) فالعطور كلها فى هذه الجـزيرة ولكنك عندما تبرح هذه الجـزيرة للعودة إلى وطنك، فإنك لن تعود ولن ترى هذه الجزيرة ثانية، فستحول إلى فيضان».

وبعد ذلك لاحت المركـب التى خبرتنى عنهـا الأفعى، وتسلقت شـجرة عالية وعرفت من عليها، وعدت إليـها لأخبرها بما رأيته ولكنى وجدت أنها تعرف ذلك.

ثم قالت لى: «اذهب بالسـلامة، اذهب بالسلامة، اذهب بالسـلامة أيها الصغير إلى منزلك، وانظر أولادك، واجعل لاسـمى سمعة طيبة فى بلدك، وهذا كل ما أرجوه منك».

فسجدت أمامها وحنيت ذراعى وأعطتنى هدايا من العطور وكل الأشياء الجميلة وحملت المركب وسجدت شكراً لها.

ثم قالت لى: «انظر ستصل إلى وطنك فى شهرين وستضم أولادك ثم ترى مكان دفنك».

وبعد ذلك ذهبت إلى الشاطئ وناديت البحارة وقدمت فروض العبادة إلى إله هذه الجزيرة.

وسرنا شمالاً وجهتنا قصر فرعون ووصلت إلى الوطن، ودخلت على فرعون وقدمت له الهدايا التى أحضرتها من الجزيرة ولقيت منه كل عطف ورضا ثم شكرنى أمام الموظفين جميعاً ورقيت إلى خادم محترم.

ثم قال لى: «لا تكن متفوقاً عليّ أيها الصديق، ولا تكن كمن يعطى الماء فجراً لطائر ليذبحه فى الصباح الباكر».

* * * *

التمساح المسحور

التمساح المسحور

جلس الملك «خوفـو» (بانى هرم الجيزة الأكبر) علـى عرشه ذات يوم فى القـاعة الذهبـية وطلب إلى أبنائه أن يقـصوا عليـه بعض أساطـير السـحرة الأولين، فقـام «خفـرع» وطلب من والده أن يصغى إليـه وقال له: «دعنى أحدثك عن قصة لتمساح الشمع المسحور» فقال الملك «خوفو»: «حدثنا عن تلك القصة».

وابتدأ «خـفرع» الحديث بأن قـال: «ذهب أحد الفـراعنة ذات مرة لزيارة معبد «بتاح» (إلـه منف) ورافقه فى معيته رجال البـلاط والمستشارون والخدم وتصادف أن أظهـر الملك رغبته فى زيارة دار رئيـس الكتبة التى كان خلفـها حديقة بديعة مزدحمة بالأشـجار المختلفة وعرائش العنب، والأزهار المتنوعة الجميلة، وبها كذلك منزل صيفى وبركة صناعية كبيرة.

وكان بين الذين يتبعون هذا الجمع شاب جميل رشيق خفيف الروح أحبته زوجة الكاتب، وكانت تحـنو عليه وترسل إليه الهدايا الجمـيلة من حين إلى آخر وكانا يجـتمعان سراً سـاعات طويلة يتذوقون فيـها هناء الخلوة فى هذه الحديقة حيث يستحم الشاب بعد ذلك فى البركة عندما يخيم الظلام.

ولاحظ ذلك رئيس الخدم ذات مـرة وذهب إلى سيده وأسر إليـه بكل ما رآه.

فأمره الكاتب قائلاً: «احضر صندوق السحر الخاص».

ولما جاء بـالصندوق صنع تمساحـاً صغـير الحجم مـن الشمع وقرأ عـليه تعويذة سحرية وأعطاه لرئيس الخـدم وقال له: «عندما ترى الشاب ينزل إلى البحيرة ليغتسل ضع هذا التمساح فى الماء».

وفى اليوم الـتالى كان الكاتب فى حـضرة فـرعون - فانتـهزت زوجـته الفرصـة وذهبت إلى الحديقـة واجتمـعت بالشاب طول اليـوم إلى أن قرب المسـاء ثم عادت الزوجـة إلى منزلها، ونزل الشـاب إلى البحـيرة ليـغتـسل كعادته، دون أن يعلم أن هنـاك عيناً ترقبه، فمـا أن نزل إلى الماء حتى جاء رئيس الخدم سراً ووضع التـمساح الشمعى المسـحور بهدوء فى الماء دون أن يشعر الشاب، ولما وضع التمساح فى الماء تبـدل بقوة السحر وأصبح تمساحاً حقيقياً كبيراً انقض على الشاب وقبض عليه بغتة.

ومرت سبـعة أيام قص الكاتب خلالها هـذه القصة الغريبة عـلى مسامع فرعون وما أتت به الـزوجة الخائنة من عدم الوفاء لزوجهـا ورجا جلالته أن يذهب معه إلى الحديقة.

فأجاب الملك رجاءه وذهب معه ولما وقف الاثنان أمام البركة فى الحديقة، تمتم الكاتب ببعض تعاويذ سحره، وأمر التـمساح أن يخرج من الماء، فما إن سمع الأمـر حتى ظهـر علي وجه الماء ثم صـعد إلى شـاطئ البحـيرة وهو قابض بفكية على الشاب.

وقال الكاتب: «إن هذا التمساح ينفذ كل ما آمره به حالاً».

فقال فرعون: « مره بالعودة حالاً إلى الماء».

ولكن الكاتب أراد قبل أن يأمره بالعودة إلى الماء أن يرى لجلالة فرعون مهارته فى السحر وقبض على التمساح بيده فعاد تمساحاً شمعياً صغيراً كما كان من قبل، فعجب فرعون كثيراً لذلك وسأل الكاتب عن السر فأخبره به، وكان كل ذلك والشاب واقف وقد تبدى عليه الحزن مترقبا ما سيحل به من عقاب.

وقال فرعون للتمساح: «اقبض على هذا المجرم الآثم».

فتحول التمساح حالاً وعادت إليه الحياة وقبض على الشاب وقفز إلى الماء وغاص به.

ثم أمر فرعون بعد ذلك بالقبض على المرأة الخائنة، وربطت إلى جذع شجرة فى شمال الحديقة، وأشعلت النار فيها كى تموت حرقاً جزاء عدم وفائها ونفذ الأمر وماتت وأمر كذلك بإلقاء ممتلكاتها فى النيل.

وبعد أن انتهى «خفرع» من سرد القصة سر والده الملك «خوفو» وأمر بإعداد قرابين لتقدم على روح فرعون.

* * * *

الحلية الخضراء

الحلية الخضراء

وبعد أن صـمت «خفـرع» برهة وقف ثانيـة وقال لوالده الملك «خـوفو» سأروى لك قصة عجيبة وقعت فى أيام المرحوم والدكم الملك «سنفرو».

شعر الملك «سنفرو» ذات يوم بتعب وسأم، وفكر فى مكان جميل يسرى عنه ما به من كآبه، فأمر باستدعاء رئـيس الكتبة أمامه وقال له: «إنى أشتاق لبعض التسلية ولا أستطيع أن أجدها هنا فى هذا المكان».

فقال الكاتب: «تستطيع جلالتكم الذهاب إلى بركة القصر، تركب قارباً، يجدف به عدد من أجمل فتيات القصر، فإن ذلك سيبعث فى نفسك السرور حيـنما تراهن مـجدفـات، وسيـسر قلبك، وينشـرح صدرك لرؤية الطـيور والمروج الخضراء التى على شواطئ البحيرة وسأذهب بنفسى مع جلالتكم».

فسر الملك لهذه الفكره وأمر بإخضار قارب له عشرون مجذافاً من خشب (سبك) الأبنوس مزيـنة بمقابض ذهبية وأمر أيضـاً بإحضار عشـرين فتاة من عذارى القصر الجميلات ذوات الصدور النامية ونزلوا إلى البحيرة.

وبعد أن تحرك القارب سرى الغم عن صدر جلالة الملك عند رؤيته لهن، وكن أثناء تجديفـهن يغنين بصوت حنون، وبينمـا كان القارب فى سـيره إذ ارتفع مجـذاف الفتاة التى كان بيـدها الدفة ووصل إلى شعـرها وقطع حلية جميلة خضراء كانت تتحلى بها وسقطت إلى الماء.

فوقفت الفتاة عن التجديف بغتة وصمتت الفتيات جميعاً عن الغناء.

فقال لها «سنفـرو»: «لا تقفى دعونا نذهب بعيداً جداً» فـردت الفتيات: «إن التى تدير الدفـة قد رفـعت مجـدافهـا» فقـال «سنفرو»: «لماذا رفـعت مجدافك».

فأجابته: «يحزننى أنى فقدت حليتى الخضراء وسقطت فى الماء».

فقال «سنفرو»: «سيرى فسأعطيك غيرها».

فردت عابسة: «أفضل جداً أن تعود إلى حليتى من أن أعطى غيرها».

فقال الملك لرئيس الكتـبة: «إنى متمتع جداً بهـذه النزهة البديعة، ونشط بدنى لرؤية هؤلاء الفتيـات مجدفات فى البحيرة شـمالاً وجنوباً، والآن قد فقـدت إحداهن حليتـها الخضـراء وسقطت فى الماء، وهى تصـر على عدم قبول غيرها وتريدها بالذات».

وفى الحال تمتم رئيس الكتـبة تعويذة سـحرية فانشـقت مياه البحـيرة إلى ممرات نزل فيـها وبحث عن الحلية التى فـقدتها الفـتاة وأحضرها إليـها، ثم جلس وتمتم تعويذة أخرى فعادت المياه إلى حالتها الأولى.

فسر الملك جداً، ولما عاد إلى القصـر بعد تلك النزهة البديعة فى القارب على وجه البحيرة الهادئة مع الفتـيات الجميلات، أمر بصرف الهدايا لرئيس الكتبة نظراً لما أتاه من العمل الخارق.

ثم صمت «خفـرع» بعد انتهاء القـصة وأمر بعدها جـلالة الملك «خوفو» بتقديم قرابين على روح والده الملك «سنفرو» ورئيس كتبته.

* * * *

الساحر «ددى»

الساحر «ددى»

وبعـد ذلك وقف أحـد أبنائه «حـور ددف» وقال لوالده الملـك «خوفـو» سمعت جلالتكم قصصاً عجيبة عن أفعال السحرة فى الأيام الخالية، ولكنى أستطيع أن أحضـر أمام جلالتكم ساحراً يأتى بـالخوارق وهو يعيش هنا فى المملكة.

فقال له الملك «خوفو»: «من هو يا بنى»؟

فأجاب الأمير: «إن اسـمه «ددى» وهو رجل طاعن فى السن فقد تخطى العشرة بعد المائة الآن وهو يـأكل يومياً فخذ عجل، وخمـسمائة رغيف من الخبز، ويشرب مائة إناء من الجعـة ويستطيع قطع رأس أى مخلوق ثم يعيده إلى مكانه، ويمكنه أن يذلـل الأسد فـيتـبعـه، وهو يعرف مكان سـر الإله «تحوتى» الذى طالما رغبتم جلالتكم معرفتة حتى تصمموا غرف هرمكم».

فرد الملك: «اذهب الآن «ياحور ددف» وأحضر لى هذا الرجل».

فخـرج الأمير وركب قـارباً وسار به نحو الجنوب حـتى وصل إلى مدينة «سنفرو»حيث منزل السـاحر «ددى» وصعد إلى الشاطئ وحمل فى مـحتفه إلى أن وصل إلى مسكن السـاحر الذى كان راقـداً أمام منزله، ولما استـيقظ «ددى» ورأى الأميـر أراد الوقوف احـترامـاً له إلا أن الأمير رجـاه ألا يقف إجـلالاً لكبر سنه وحـيـاه قائلاً له: «يرغـب والدى الملك «خوفـو» فى أن يمجدك، وسبنى لك قبراً بين قومك».

فدعا «ددى» إلى الأمير قائلاً له: «العظمة لك، ولينصر قرينك فوق كل قوة شريرة، وليتبع ظلك طريق الحنان».

وساعده الأمير على الوقوف وأمسكه بذراعه حتى وصلا إلى القارب فركب وركب مساعدوه ومعهم كتبه السحرية قارباً آخر، إلى أن وصلوا إلى القصر وصعد الأمير إلى والده الملك «خوفو» وقال له: «لقد أحضرت معى الساحر «ددى» لك الحياة والسعادة والصحة.

ففرح الملك وقال: «دع الرجل يدخل فى حضرتى».

فدخل الساحر «ددى» وقف فى خشوع ثم حيا الملك فقال الملك: «لِمَ لِمْ أرك من قبل؟» فأجاب الساحر: «من يطلب يحضر».

فقال الملك: «خبرت أنك تستطيع قطع رأس أى مخلوق وتعيده إليه ثانياً؟» فرد الساحر: «حقاً ذلك يا مولادى».

فقال الملك: «أحضروا سجيناً لقطع رأسه وإعادته إليه ثانيا».

فقال الساحر: «ولكنى لا أفضل رأس إنسان بل طائراً وحيوان فى مثل هذه الحالات».

فأحضرت بطة فقطع الساحر«ددى» رأسها وألقى بها على يمناه وألقى بالبطة على يسراه وتمتم «ددى» بكلمات سحرية فعاد الرأس إلى جسدها ووقفت البطة مرفرفة صائحة بصوت عالٍ وعمل مثل ذلك فى أوزة.

ثم أمر جلالة الملك «خوفو» بإحضار بقرة فقطع الساحر رأسها، ثم أعاد إليها رأسها ورد إليها الحياة وأمرها بأن تتبعه فسارت خلفه.

فدهش الملك لما رآه وأعجبب الرجل كـثيراً وقال له: «علمت بأنك تملك وتعرف مخبأ سر الإله تحوتى؟»

فقال الســاحر: «لا أملك ذلك، ولكنى أعلم أين مخبـؤه، إنه فى حجرة فى معبد الشمس بمدينة «أون» (هليوبوليس) حيث تحفظ الأسرار فى صندوق ومن سيحضره إلى جلالتكم شخص له أهمية.

فقال الملك: «أتمنى لو أعرف من يوصله إلى».

فسكت الساحر «ددى» برهة وقال إنه تنبأ بأن السيدة «روددت» زوجة أحد كهنة معبد «رع» ستعقب ثلاثة أطفال وسـيصير الأبن الأكبر أكبر الكهنة فى معبد الشمس «أون» وسيملك هذا السر وسيجلس بقوته هو وأخوته يوماً ما على العرش وسيحكمون مصر.

فحزن الملك «خوفو» لذلك واضطرب عند سماعه هذه النبوءة التى فاه بها الساحر.

ثم استمـر «ددى» فى حـديثه قـائلاً: «بماذا تفكر أيهـا الملك، إن ابنك سيـتولى العرش بعدك ثـم يليه ابنه فى الحكم وبعد ذلك يخـرج العرش من أيديهم ويعتلى أحد هؤلاء الأطفال العرش».

إلا أن الملك «خوفـو» صمت مدة ثم تكلـم متسـائلاً: «متى يولد هؤلاء الأطفال؟».

فأجاب الساحر «ددى»: «سأزور معبد رع فى ذلك الوقت».

بعد ذلك أنعم الملك «خـوفو» على الساحـر «ددى» وأسكنه فى بيت ابنه

«حور ددف» وأمر له بصرف فخـذ ثور وألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة، ومائة حزمة من البصل يومياً.

وفى يوم من الأيام حدث أن شعـرت «روددت» بآلام المخاض، وأجهدها الوضع فـتوجه جـلالة ملك «رع» إلى إيزيس،وتقـيس ، وهيكيت وخنوم، وقال: اذهبـوا وخلصوا «روددت» من آلام ولادتهـا لأطفالها الـثلاثة الذين سيعم البلاد الرخاء فى عهدهم جميعـاً، إنهم سيشيدون المعابد لكم للتسبيح باسمكم وتـقديم الذبائح والهدايـا على مذابحكم، ورحلت الآلهـة بعد أن تقمـصت صورة الراقصـات الشاديات وتبعـهم خنوم حاملاً أمـتعتـهم حتى وصلوا منزل «راوزر» فوجدوه صامتاً، قد تناثرت ملابسه هنا وهناك، فقدمه إليه عـقودهم ونواقيـسهم فقـال لهم: «سيداتى انظروا،ها هى السـيدة التى تعـانى آلام المخاض« فـبـادرنه قائلات: اسـمح لنا برؤيتـها فـإننا نسـتطيع مسـاعدتها فى الوضع، فـأجبهم: ادخلن، فـولجن الباب حتى اقـتربن من «روددت» ثم أغلقن الباب خلفـهن وحينئذ وقـفت إيزيس أمامها، ونفـتيس خلفها بينمـا قامت هينيت بإجراء عمليـة الولادة وقالت إيزيس: «لا تكن يا «أوزر» قوياً للغاية فى أحشائها.

وسـرعان أن انزلق الطفل بـين يديها، وكـان طوله ذراعـاً وعظامه قـوية وأعضـاؤه مرصـعة بالذهب، ويحـمل قلنسوة من (أحجـار) اللابى لازولى الخالص، وقـامت الراقصـات الشاديات بغـسله بعد أن قطعن خـيط الرحم ووضعنه فى إطار من القـرميد، ثم توجـهت «مسخنيت» نحـوه وقالت له: «ستكون ملكاً قوياً مهيباً فى جميع أرجاء البلاد».

وبينما كـان «خنوم» يمنح جسـده الصحة، ووقـفت «إيزيس» من جديد أمامها، ونفيس خلفها، بينمـا قامت «هيكيت» بالتعجيل فى عملية الوضع، وقالت «إيزيس»: «لا تتأخر فى أحشائها يا «ساحرع».

وسرعان من انزلق الطفل بين يديها،وكـان طفلاً طوله ذراع وعظامه قوية وأعضـاؤه مرصـعة بالـذهب، ويحمل قلنسـوة من أحجـار اللابى لازولى الخالص.

وقامت الراقصات الشاديات بغسله بعد أن قطعن خيط الرحم ووضعنه فى إطار من القرمـيد، ثم توجهت «مـسخنيت» وقالت له: «سـتكون ملكاً قوياً مهيباً فى جميع أرجاء البلاد» بينما كان خنوم يمنح جسده الصحة.

ومرة أخرى وقـفت «إيزيس» أمامها ، و «نفـتيس» خلفها، بينـما قامت «هيكيت» بالتعـجيل فى عمليـة الوضع، وقالت «إيزيس»: «لا تكن قاسـياً «كيكو» فى بطنها، باسمك يا «كيكو».

وسرعان ما انزلق الطفل بين يديهـا، وكان طفلاً طوله ذراع وعظامه قوية وأعـضاؤه مـرصـعة بـالذهب ويحمـل قنسوة من أحـجـار اللابى لازولى الخالص.

وتوجهت «مسخنيت» إليه قائلة: «سـتكون ملكاً تحكم هذه البلاد جميعاً» بينما منـحه «خنوم» الصحـة، وقامت الراقصـات الشاديات بغـسله بعد أن قطعن خيط الرحم ووضعنه فى إطار من القرميد.

وخرجت الآلهـة الثلاثة بعد أن سـاعدن «روددت» فى ولادتها لأطفـالها الثلاثة، ثم قلن: «فليفرح قلبك يا «راوزر» فقدت رزقت بثلاثة أولاد».

فأجابهن: «كيف يمكنني يا سيداتي أن أكافئكن؟».

«إني أرجوكن أن تعطين حقيبة الشعير هذه إلى حامل أمتعتكن كأجر لكن، لكي تمنعن منها الجعة، فقام «خنوم» بحمل حقيبة الشعير.

ولما رجعت الآلهة إلى حيث كن قالت لهن «إيزيس»: «فيم يفيد مجيئنا دون أن نقوم من أجل هؤلاء الأطفال بمعجزة يمكننا أن نبلغ بها والدهم «رع» الذي أرسلنا إلى هنا».

وقامت الآلهة بصنع ثلاثة تيجان ووضعناها في شوال من الشعير ثم قفلن راجعات إلى المنزل، وحينئذ قلن: «ضعوا شوال الشعير هنا في غرفة محكمة حتى نعود من الرقص في الشمال»، ووضعت شوال الشعير في غرفة أحكم غلقها.

وشفت «رووددت» من آلامها بعد انقضاء أسبوعين، ثم قالت لخادمتها: «هل ينقص المنزل شيء من حاجته الضرورية؟ فأجابت الخادمة: «لا ينقصه شيء البتة، ما عدا بعض الأواني التي لم تحضر بعد».

فقالت: «رووددت»: «ولم لا تحضري الأواني؟» ففزعت الخادمة قائلة: «ليس لدينا من الشعير ما يلزم لصنع الجعة سوى حقيبة الشعير الموجودة في الغرفة المغلقة».

فقالت: «رووددت»

فلتهبطي واجلبي منه، ولسوف يعوضهن (راع أوسر) عن ذلك، عندما يرجع.

فأسـرعت الخادمة، وفتحت الغرفـة، فسمـعت صوت غناء وموسـيقى ورقص وفرح، وكل مـا اعتـاد فعله احتـفالا بالملوك، فأسـرعت إلى أعلى وأخبرت رووددت بكل شيء، فمضت إلى الغرفـة، ولكنها لم تستطع العثور على المكان الذى يخـرج منه الـصوت، فـوضـعت خـدها على الشـوال، واكتـشفت أن ذلك يصدر عنه، فـوضعتـه فى صندوق، ووضعت ذلك فى جراب، وربطتـه برباط من جلد، ثم وضعـت ذلك فى غرفة تخـزن فيـها احتياجاتها، وأغلقتها.

وعندما رجع (رع أوسـر) من الحقل، قصت عليه رووددت تلك الـقصة، ففرح فرحاً طاغياً ، ثم جلساً واحتفلا بيوم جميل.

وبعد مرور عـدة أيام، غضبت رووددت من خادمتـها،وعاقبتـها بالضرب فقالت الخادمه لمن فى الدار، لماذا تفعل ذلك، لماذا؟ وقد أنجبت ثلاثة ملوك، لسوف أذهب الآن، لأفشى سرها لدى جلالة الملك «خوفو».

ثم ذهبت فقابلت أخاها من أمها، وقـد أخذ يربط كتان فى الجرن، فقال لها: إلى أين أنت ماضـية، أيتها الصغيـرة، فقصت عليه القصة، فـقال لها أخوها: هل تفـعلين ما فعلت لتـأتين إلى فأكون شـريكاً لك فى فعلتك ثم أخذ شيئا من الكتان، وضربها ضربة موجعة.

وكان أن مضت الخـادمة لتملأ وعاء بالماء، فأمـسك بها تمساح، ثم ذهب أخوها إلى روديدت ليخبرها ، فوجـد روديدت جالسة بقلب حزين للغاية، وقد وضـعت رأسها علـى ركبتـها، فقـال لها: سيـدتى لماذا أنت على هذا الحال؟

فأجابت: إن ذلك بسبب الصغيرة التى كبرت فى هذا الدار.

انظر: إنها ذهبت وهى تقول لك لسوف أذهب لافشى سرك.

فخفض رأسه وقال: سيدتى، إنه صحيح، لقد جاءت لتقص على القصة، فلما وقفت بجوارى ضربتها ضربة موجعة، وهنا مضت لتأخذ شيئا من الماء فأمسك بها تسماح.

* * * *

الفلاح والحمار

الفلاح والحمار

كان فلاح يقيم بإقليم الفيوم مع أسـرته وكان يعيش على ما يبادل به من منتجات بلدته من ملح ونطرون وحبال وغاب ويحملها على حماره كل يوم ويذهب بها إلى أحـد التجار فى بـلدة أخرى. وكان من عـادته أن يمر فى طريقه بمزرعة لموظف ملكى كبير وقاض يسمى «مروسارنس» ومعناها (رنس ابن مرو) وبالقرب من مزرعة هذا القاضى قطعة أرض استأجرها رجل يدعى «تحوتى تحت» سولت له نفسه مـراراً عند رؤية الفلاح أثناء مروره فى حدود أرضه، أن يستولى على حماره وما عليه من أحمال وكان هذا الخاطر يساوره فى كل وقت، وذات مرة فى وقت الحصاد حدث «تحوتى تحت» نفسه قائلاً: «هل يسعفنى الإله بسرقة هذا الفلاح وأخذ حماره وما عليه من أحمال فإنى فى حاجة ماسة إلى الملح».

وكان «تحوتى تحت» قد زرع أرضه كلها حتى شاطئ المياه، ولم يترك منها إلا ممراً ضيقـاً لا يسير فيه غيـر شخص واحد بكل صعوبة، فعندمـا اقترب الفلاح من حدود أرضه قال «تحوتى تحت» لأحـد خدمه: أسرع وأحضر لى سجادة من البيت».

فجـرى الخادم وعاد حامـلاً ما طلب سيـده، فأخذها منه وفرشـها على عرض الممـر وجعل طرفـاً منها يلامس الزرع، والطرف الآخـر بالقرب من الماء، ثم اختفى وراء سـيقان النبات ولما دنا الفلاح بحـماره من الأرض سار كعادته دون أن يلاحظ أن على الأرض شيئاً وداس على السجادة.

فخـرج له «تحوتى تحت» وقـال له: «انظر إلى أين أنت ذاهب، لا تدس على سجادتى» فأجابه الفلاح الطيب القلب بقوله: «سأتبع رغبتك وسأتجنب إزعاجك» ثم تقـهقر بحـماره ولف بحذر واحتـراس وسار مختـرقاً سيـقان القـمح تفادياً مـن المرور على السجـادة ولكن ذلك الحل لم يرض «تحـوت تحت» فصارح غاضباً «أتتـجاسر على أن تدوس قمحى؟ ليس لك طريق من هنا» فرد عليه الفلاح: «ما عساى فاعل إذن ،لقد سددت الطريق فى وجهى ومنعتنى من المرور بوضعك هذه السجادة فى طريقى.

وبينما هما فى هذا القول والجدل أوغل الحـمار فى الحقل وأكل بعضاً من سنابل القـمح، فحـنق «تحوتى تحت» على الفـلاح وقـبض عليه وقـال له: «سآخذ هذا الحمار نظير مـا أكله من قمحى فرد عليه الفلاح: «لم كل ذلك؟ أغلقت الطريق فى وجهى، والآن تود أن تأخذ حمارى نظير قليل من سنابل القمح، إنـك لن تجرؤ على اغتـصاب حـمارى لأنى بأرض «مـروسارنس» القاضى العادل الكبير، الذى يأخذ بالشدة والعدل كل من يأتى شراً ويرتكب إثماً، إنك تعرف أنى أتكلم حقاً، فلا تحدث نفسك بسرقة ما أملك وأنا فى حمى هذا النبيل، وإنى سأذهب إليه شاكياً وهو لا يرضى بذلك».

ولكن «تحـوتى تحت» هزأ منه وأجابه: «هل تظن أنه يصـغى إلى شكوى رجل مخبـول مثلك ويهتم بها؟ أنا السـيد «مروسا رنسى» وسـأحاسبك هنا الآن» وأوسع الفلاح ضرباً موجعـاً خلف فى بدنه جروحاً، ثم ذهب الفلاح بعد ذلك إلى منزل القاضى وترقب خروجه، فما أن رآه يخطو من عتبة داره

متجهـاً نحو النهر ليركب قاربه النيلى حتى قال له: «المجـد لك سيدى، مر أحد أتباعك بالإصغاء إلى مظلمتى».

وأمر القـاضى أحد الكتبة أن يسـتمع لشكواه فأخبـره بما وقع من «تحوتى نخت» من ضربه واغتصاب حماره.

وفى اليوم التـالى جلس القاضى بين النبلاء فـى ساحة العدل وأخـبرهم بالفعلة الشنيـعة التى ارتكبهـا المزارع مع الفلاح، فردوا عليه قـائلين: «لقد تعودنا أن يحضر الفلاحون شهوداً لإثبات شكواهم فنحن نعرف طرقهم».

وصمت القاضى عـن الكلام، وهو يتميز حقـداً وغضباً من مـجادلتهم، وعول على أن ينظر فى شكاية الفلاح بنفسه.

ولما كان الفلاح عاجزاً عن دعوة من يشهد بما وقع له، عاد ثانياً إلى منزل القاضى، وانتهـز فرصة خروجه من باب داره وشكره بصـوت مرتفع قائلاً: «يا أقوى رجل بين الأقوياء، ويا صديق الفقير، ووالد من لا والد له وزوج الأرملة وأخ البنت المحـتـاجـة، إنى اثنى عـلى اسـمك لأنك ترد الحق إلى نصابه دون أن تأخـذ عليه أجراً، ياعـدو المجرمين، ومحب العـدل، تسمع صراخى، وسمحت لى بالكلام، فـإنى أود أن أرى رحمتك فانظر فى أمرى واعتبر ابتهالى هذا طلبا للنظر وستجدنى حقاً قد سلبت».

وبينما كان القاضى يسيـر فى طريقه إلى القصر الملكى، قابل الملك وقص عليه ما حـدث للفلاح، وكيف اغتصب المزراع حمـاره، وذكر له الكلمات التى فاه بها الفلاح، فأعجب الملك بحسنها وجمال صوغها.

ورد عليـه فرعون قـائلاً: «إن هذا الفلاح عـلى شيء كبـير من البـلاغة والفصـاحة، فانظر في أمره، ودع كـتبتك يسطرون الكلمات التي فـاه بها، فاني أود سماعها كلمة كلمة بنفسي، وعليك في نفس الوقت مراعاة زوجته وأولاده وسد حاجتهم من الطعام.

فصدع القاضي بهذا الأمر، وكان يرسل الغـذاء للفلاح يومياً ويمد عائلته بالخبز وأنواع الطعام.

وما كـان ذلك ليعوق الفلاح عن بث شكواه، فكان يتردد كل يوم على دار القاضي ليقابله عند خروجه بحماسـة وبلاغة شعر، وكان كتاب القاضي يدونون في قراطيسهم كل كلمة يتفوه بها.

وفي كل مرة كان القاضي يتظاهر بعدم الالتفات إليه، ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه، ولم يصل اليأس إلى قلبه، بل ظل يتابع تردده على القاضي إلى أن كانت المرة التاسعة فأرسل إليه القاضي خادمين من خدمه، وعندما اقتربا من الفلاح خاف وارتعدت فرائضه، ولكنهما هدآ من روعه وقالا له : «إنك لم ترتكب ذنباً تخـاف منه، سوى أنك كررت هذا الحديث للقـاضي مرات عديدة، وقد سمع فرعون بهذا الحديث وقرأه وسر منك وسيكافئك».

وأمر القاضي كـتابه بحمل تحقيق عن سـرقة الحمار وما عليـه من أحمال وأخذ نتيجة التحقيق ورفعها بنفسه إلى الملك.

فقال له الملك: «لا أقدر أن أسمع هذه الشكـوى فانظرها بنفسك وليأخذ العدل مجراة».

وأرسل القاضى ضباطه إلى مزرعة «تحوتى نخت» فصادروا منزله وكل ما يتملكه وأمر بإعطائه إلى الفلاح الذى ظلمه، ثم أمر جلالة الملك بإحضارالفلاح الفصيح اللبق إلى القصر وأكرم مثواه وعينه فى حاشيته، وأسكنه هو وزوجته وأطفاله بالقصر.

* * * *

أسطورة «خنوم» إله الشلال

أسطورة خنوم إله الشلال

حدث فى أيام الملك «زوسر» بانى الهرم المدرج بسقارة من عهد الأسرة الثالثة فى الدولة القديمة، أن تأخر فيضان نهر النيل سبع سنوات متواليات، وكانت كمية المياه الموجودة فى المجرى لا تكفى لرى الأراضى فأجدب الزرع ولم يستطيع الفلاحون العمل بحقولهم، وندرت الحبوب ونضبت المواد الغذائية وزاد البؤس وحل الشقاء وفاض بالناس معين الصبر ونسبوا هذا القحط إلى إهمال الملك «زوسر» وانقطاعه عن زيارة معبد الإله المسيطر على نهر النيل.

ولما رأى الملك «زوسر» تلك النكبة الجامحة التى حلت ببلاده. ضاق صدره وفكر فى الأمر وهداه تفكيره إلى استشاره الحكيم العالم والمهندس البارع والطبيب الحاذق والفلكى الساحر، الكاهن المرتل الأكبر وزيره المحبوب «إمحوتب» فاستدعاه ولما مثل بين يديه سأله عن «مكان ولادة النيل (أى منبع النيل) وعمن يسيطر عليه من الآلهة».

وبعد أن عرف الوزير «إمحوتب» ما أراده الملك رجا جلالته: «أن يمهله قليلاً لكى يرجع إلى المدارج البردية المحفوظة فى مكتبة رؤساء الكهنة إذ إنه لا يستطيع الإجابة الآن عن أمر كهذا.

وقضى الوزير «إمحوتب» مدة من الوقت باحثا مدققاً، ثم عاد بعدها إلى الملك «زوسر» حاملاً إليه تقريراً به «الأسرار والعجائب التى لم تكشف لأى ملك فى العصور السابقة التى لا يمكن تصورها».

وبعـد أن أخـذ الملك «زوسـر» التقـرير الذى رفـعـه إليـه وزيره الحكيم «إمحوتب» قرأه وتمعن فيه، ثـم كتب بسرعة خطاباً إلى نائب الملك ، طالباً منه المشورة والمـساعدة وليـعمل على إنقـاذ البلاد من القحـط الذى حل بها وشملها حتى أضحت فى حالة محـزنة يرثى لها وقال له: «إن عقلى مشتت من الأيام الخـالية، لما كـان لى محـام، وإلى وقت الآلهة، والإله «تحـوتى» وإلى وقت الكاهن المرتل «إمحوتب» ابن الإله «بتاح» جنوبى حائطه» (وهذا اللقب مشتق من كلمة أطلقت على معبد هذا الإله الذى كان قائماً بمنف).

ثم شرع الملك بعد ذلك فى السؤال عن الإلـه أو الآلهة المسيطرة على نهر النيل، والذى فى يده ملء مخازنه بالحبوب حتى يستطيع الذهاب بنفسه إلى معبد هذا الإله ليستعطفه.

وعـرف الملك فى النهـاية أن الإلة «خنـوم» إله منطقـة الشـلال هو الإله الحاكم المسيـطر على منابع نهر النيل العظيم، فما كـان من الملك إلا أن شد رحاله وذهب إلى معـبد «خنوم» بأسوان وزاره زيارة شخـصية وصلى هناك وتضرع إليه متعطفاً وقدم القرابين لمعبده ثم عاد إلى «منف» مقر الحكم.

ومـرت الأيام وفى ذات ليلة بينمـا كـان الملك «زوسـر» نائمـاً إذا بالإلة «خنوم» حاكم النيل المسيطر عليه يستجيب لضراعته ورأى الملك فى نومه أن الإله زاره ووعده بأن يفيض نهر النيل وألا يعـود إلى الهبوط ثانية وقال له: «إنه سيـوزع مياهه وسـيغـمر بها الأراضى كلهـا بكثرة، وأن الزرع سـيأتى بمحصول أوفر مما كـان ، وستزول الضائعة التى يقاسيهـا الشعب، وستنتهى

المجاعة، وستملأ جميع المخازن الخالية بالحبوب ويعود اليسر والرخاء للبلاد كما كان».

ثم جرت المياه فى مجاريها وفاض الخير والبركة. وأصبح الفلاحون فرحين مغتبطين يزرعون ويحصدون فى حقولهم وعاد الرخاء للبلاد، فلما رأى الملك فضل الإله «خنوم» المسيطر على النيل أصدر مرسوماً بإشارة وزيره الحكيم العاقل «محوتب» سجل فيه اعترافه بنعمة الإله «خنوم» وأوقف بمعبده بالضفتين مساحات هائلة من الأراضى محاذية لشاطئ النيل (من إلفنتين إلى تاكو مبسو) وخص المعبد بما يجئ منها من ضرائب ودخل وخيرات، وأرسل إلى المعبد كذلك الهدايا الثمينة من الذهب والعاج والأبنوس والتوابل والبخور والأخشاب والأحجار الكريمة وكل ما يلزم المعابد.

وهذه الأسطورة مكتوبة على لوح من الجرانيت فى جزيرة سهيل (التى تبعد حوالى ميلين جنوبى أسوان) ويقال إن كهنة معبد «خنوم» بأسوان كتبوها فى عهد البطالسة اعترافاً بفضل الملوك الأقدمين الذين منحوا معبدهم من أقدم العصور النعم والهدايا والأوقات حتى يمدهم فرعون الحاكم بمثل ما أهداهم سلفه.

* * * *

الأميرة والإله «خنسو»

الأميرة والإله «خنسو»

هنالك نوع من الأساطير المصرية كانت تهـدف إلى عرض معين يتفق إلى حد بعيد مع ما نسميـه الآن (البروباجندا) ولقد عرفنا أسطورة بردية وستكار التى كانت تهـدف إلى ذر الرماد فى العيون بالنسـبة إلى عدم شرعـية أفراد الأسرة التى قوضت حكم الأسرة الرابعـة واعتلت هى العرش. وكذلك أسرة حتـشبسـوت وولادتها التى أرادت منها الملكة أن تدافع بهـا عن استقـلالها بالعرش.

أما الأسطورة التـى حاكهـا الكهنة عن أمنحوتب الثـالث فقـد أكدت أن الغـرض منها هو أن يغض الشـعب النظر عن المعـارضة التى ربما يلاقـيهـا أمنحوتب كملك شرعى نظراً لأن أمه لم تكن مصرية.

والأسطورة الآتية هى من نفس النوع اخترعها كهنة الإله «خنسو» ونقشت على جدران معبده، وهى تهـدف إلى الإشادة بقوة إلهم وقدرته على الإتيان بالأعاجيب.

ولقدحـاكها الكهنة بأسلوب تـاريخى، إذ جعلوا مسـرح الأسطورة مدينة طيبة العظيمة وحددوا العصر عهـد الملك رمسيس الثانى طار صيته فى أنحاء العالم المتـمدن فى ذلك الوقت نظراً إلى الفـتوحات الكثـيرة التى تمت على يديه ولأنه استن سنة حمـيدة وهى التزوج من أمـيرات أجنبيـات من الأسر المالكة فى أقطار الشرق الأدنى القـديم. وهو هنا يتزوج بابنة ملك الحيـثيين

بعد أن حاربه أعـواماً طويلة. وكانت الحرب بينهـما سجالا. وانتـهت بعقد محـالفة دفاعيـة هجومية تعـتبر من أهم المعـاهدات التاريخية فى العـصور القديمة.

وتبدأ الأسطورة بمقدمـة طويلة تزخر بألقاب رنانة تشيـد بمفاخر كل ملك منهما وبقوته وعظمته وقدرته على الحرب والفتوحات.

ثم يأتى الحديث عن الأسطورة نفسها كما يلى:

وهكذا وصل جلالة الملك رمسيس (الثانى) حسب عادته فى كل عام إلى بلاد نهارينا (بلاد ما بين النهرين) فسارع إليه أمراء البلاد الأجنبية يقدمون له فروض الطاعة وينحنون أمام عظمته فى اطمئنان.

وحملوا معهم هداياهم من الذهب والفـضة واللازورد والتوركواز وأنواع الأخشاب الفاخرة التى تنبت فى بلاد الإله[١].

وأمر أمير «بختن» بإحضار هداياه التى كان على رأسها ابنته الكبرى وتقدم إلى جلالته راجياً أن يقبل هذه الهدية وأن يتفضل ويغدق عليه نعمة الحياة.

وأعجب جلالة الملك بهذه الفتاة وسر قلبه بها أكثر من كل شئ وأمر بأن يكون اسمها المصرى: زوجة الملك الكبرى «نفرو - رع».

وعندما رجع جـلالته إلى مصـر قامت هذه الفـتاة بكل واجبـات الزوجة الشرعية للملك.

* * * *

(١) أطلق المصرى لفظ«بلد الإله» على جميع المناطق التى تقع فى آسيا إلى الشرق من مصر.

وحدث فى العام الثـالث والعشرين فى اليوم الثانى والعشـرين من الشهر الثانى من الفصل الثالث، أن كان جلالته فى مـدينة طيبة القاهرة سيدة مدن مصر، يقوم بأداء الاحتفالات لأبيه الكبـير«أمون رع» سيد العروش والمهيمن على القطرين وذلك لحلول عيد «أوبت الجميل الجنوبى».

فدخل عليه من يقول لجلالته:

«لقدوصل رسول من أمير «بختن» وهو يحـمل هدايا لا حصر لها لزوجة الملك».

فأمر جلالته بدخول الرسول ومعه هداياه وأمره بالتحدث فقال:

«المجد لك. يا «رع» يا صاحب الأقواس التسعة نحن نحيا من فضلك».

ثم تقدم الرسول وقبل الأرض أمام جلالته وتابع حديثه فقال:

«لقـدحضـرت أى مولاى، من أجـل «بنت - رشت» الأخت الصغـرى لزوجة جلالتكم «نفرو - رع».

«لقد أنهك المرض جسمها.

«فهل لجلالتكم أن تتفضلوا بإرسال أحد حكمائكم «ليفحصها»؟

وهنا تكلم الملك قائلا:

«أحضروا لى على عجل رجال (بيت الحياة)[١].

وكذلك هيئة علماء العاصمة».

فحضروا على الفور. فقال لهم جلالته:

---

(١) (بيت الحياة) هنا معناه المدرسة التى كان يتعلم فيها المصرى الحكمة والديانة والسحر والطب.

«لقد ناديتكم لتستمعوا إلى هذا الأمر.

«والآن فليتقدم أحدكم ممن عمر قلبه بالحكمة.

«وقدرت أنامله على الكتابة».

فتقدم الصفوف الكاتب الملكى «نون - إم - حب» وحيى جلالته. فأمره بمصاحبة رسول أمير «بختن» والسفر معه بلا إبطاء.

وعندما وصل الحكيم المصرى إلى بلاد «بختن» وجد الأميرة «بنت - رشت» فى حالة من مسته أرواح شريرة.

حقاً لقد وجد عدواً صعب المراس.

وأرسل أمير بختن مرة أخرى إلى جلالة الملك يقول:

«أيها الملك. يامولاى. أرجو جلالتكم أن تأمروا بإله يستطيع التغلب على هذا الروح الشرير».

ووصل رسول الأمير إلى الملك فى العام السادس والعشرين. الشهر الأول من الفصل الثالث. فى موعد الاحتفال بآمون وكان الملك فى طيبة.

وأعاد الملك كلمات الرسول وكان جلالته فى حضره الإله «خنسو» الذى فى طيبة. الجميل. الخير» قائلا:

«مولاى الطيب إنى أخدمك اليوم لأطلب المساعدة من أجل ابنة أمير «بختن».

وهنا حُمل الإله «خنسو الذى فى طيبة. الجميل. الخير» إلى الإله «خنسو منفذ المشاريع . الإله الأعظم . الذى يطرد الأرواح الشريرة».

وقال الملك إلى الإله «خنسوالذى فى طيبة . الجميل. الخير»:

«مولاى إذا اتجهت وجهك نحو الإله «خنسو . منفذ المشاريع الإله العظيم الذى يطرد الأروراح الشريرة». فسوف يرضى بالتوجه إلى بلاد بختن».

فاومأ الإله برأسه مراراً.

ثم قال جلالته:

«ولتزوده بقوتك السحرية حتى يتسطيع إنقاذ ابنة أمير «بختن».

وهنا أومأ الإله «خنسو. الذى فى طيبه. الجميل. الخير» مراراً عديدة برأسه وزود الإله «خنسو . منفذ المشاريع» بقوته السحرية مرة بعد مرة حتى بلغت أربع مرات.

* * * *

وأمر جلالة الملك أن ينقل «خنسو .منفذ المشاريع» إلى سفينة كبيرة تحرسها خمسة قوارب نيلية.

وجهزت السفينة بعربات وخيول كثيرة من الغرب والشرق.

ووصل هذا الإله إلى بلاد «بختن» بعد رحلة بلغت عاماً وخمسة شهور.

وقابله أمير«بختن» بجيوشه وضباطه وعندما وقف أمام الإله «خنسو. منفذ المشاريع» خر على الأرض حتى لسها ببطنه وقال:

«لقدحضرت إلينا - فلتكن رحيما بنا. بحق ملك مصر العليا،ومصر السفلى (أوسر - معات - رع - ستب - إن - رع)[1].

(١) اسم العرش للملك رمسيس الثانى.

وتقدم الإله إلى المكان الـذى ترقد فيـه «بنت - رشت» ونفذت حمـايته الصحرية إلى ابنة أمير بختن لتشفيها من علتها حالا.

وهنا ارتفع صـوت الروح الذى مسـها وقال فـى حضرة الإله «خـنسو . منفذ المشاريع»:

«مرحباً بك أيها الإله العظيم الذى يطرد الأرواح الجالبة للأمراض».

«إن بختن أصبحت وطنك. وأهلها عبيدا لك. أنا كذلك عبد لك».

«وسـوف أرحل إلى المكان الذى أتيت منه حـتى تطيب بالا وتسعـد من أجل المهمة التى قدمت لها».

«هل لك أن تأمر أمير بختن بأن يخصص يوم عطلة أحتفل به معك؟».

وهنا أومأ الإله لكاهنه برأسه قائلا:

«دع أمير بختن يقدم قرباناً عظيما فى حضرة هذا الروح».

وفى الوقت الذى تمت فيه هذه الأشيـاء بين الإله «خنسو. منفذ المشاريع» والروح كان أكـير بختن يقف منتظراً ومن حوله جنوده وقـد أخذ منه الهلع مأخذه.

وقام أمير بختن بتقديم القرابين فى حضره هذا الإله وهذا الروح واحتفل بيوم إجازة من أجلهما.

ورحل الروح بسـلام إلى حـيث أراد رضخًا لأمـر الإله «خنسـو. منفـذ المشاريع». وفرح أمير بختن وأهل البلاد جمبعاً بهذا العمل فرحاً شديداً.

وأسر أمير بختن فى نفسه أمراً:

«سأدعو هذا الإله ليبقى بيننا هنا فى بختن . . ولن أدعه يرجع إلى مصر» .

* * * *

واستقر المقام لهذا الإله فى«بختن» مدة ثلاثة أعوام وتسعة أشهر .

وحدث ذات مساء أن رأى أمير بختن فى نومه هذا الإله وقد خرج من ناووسه كصقر ذهبى وحلق فى السماء واتجه نحو مصر .

فصحا من نومه فزعاً وأسرع إلى كاهن الإله «خنسو . منفذ المشاريع» يقص عليه رؤيته وطلب إليه أن يسرع مع الإله بالعودة إلى مصر .

وزود الإله بكثير من الهدايا القيمة . وبأعداد لا تحصى من الجند والخيول ورجع إلى مصر .

وما كاد الإله «خنسو منفذ المشاريع» يصل إلى طيبة حتى اتجه مباشرة إلى «خنسو الذى فى طيبة الجميل . الخير» وكدس أمامه كل العطايا والهدايا التى زوده بها أمير بختن .

ونزل«خنسو . منفذ المشاريع» بسلام وسعادة إلى معبده فى السنة الثالثة والثلاثين فى اليوم التاسع عشر من الشهر الثانى من الفصل الثانى من حكم ملك الشمال والجنوب «أو سر - معات - رع - ستب- إن - رع» معطى الحياة مثل «رع» إلى الأبد .

* * * *

قصة الأميرة والشحاذ

قصة الأميرة والشحاذ

أقدم قصة حب مدونة :

فى أصيل يوم من الأيام كان الشيخ (حابى) فى بستانه الصغير، أمام داره المتواضعة يتعهد نخيلاته، فاسترعى انتباهه خفق أقدام، فالتفت نحو مصدر الصوت، فإذا فتى يسير صوبه، وهو يجر فى جهد قدميه المتعبتين،وقد علاه الغبار، فاختفت ملامحه، بيد أن الناظر إليه يستطيع أن يلمح فى عينيه على الفور حيرة الغريب.

وكان الفتى يحمل فى يده صرة، فخف الشيخ للقائه، وما أن أقترب منه حتى سمعه يقول فى صوت هامس: الشيخ (حابى)؟

هأنذا.. ما مطلبك يا بنى؟

ووجد (حابى) الفتى يتخاذل أمامه، فأسرع إليه، وأسنده إلى صدره محيطاً إياه بذراعيه، وقال له: أمريض أنت؟

وسار به (حابى) إلى داره برفق، وأجلسه بجوار الباب على مصطبة عارية، وتركه برهة، ثم عاد إليه بإبريق مملوء لبناً، فأخذ الغريب يعب منه حتى شبع، وبعد أن تنفس طويلاً تمتم بكلمات الشكر لمضيفه ثم أطرق وقتاً وأخيرا رفع رأسه، وسرح بصره فى الشيخ، والكلمات حيرى على شفتيه.

وابتسم الشيخ ابتسامة تنطوى على عطف وطيبة، وقال: تكلم يا بنى، لا تخش بأساً.. ما حاجتك؟ إن (حابى) لا يرد حاجة لغريب.

فأمسك الفتى بيد الشيخ، وضغطها فى انفعال، وقال: لقد حدثونى أنك تأتى بالمعجزات فسعيت إليك أطلب معجزة.

فتأمل الشيخ وجه ضيفه طويلاً، يحاول كشف ما خلف تلك الصفحة المتربة التعبة، ثم قال: معجزة؟! .. لست كاهناً يا بنى!

- أنت أعظم من كاهن.

- أفصح من غرضك!

- إن قوة تعاويذك وعقاقيرك يا أبت من روح الآلهة.

-أنا حكيم زاهد، قد أنجح فى مداواة النفوس وتطبيب الأجسام.

وحدق الفتى فى الشيخ بعين جاحظة، ثم هبط أمامه وقال وقد تشبث بثوبه: وحق (إيزيس) لتنتزعن نفسى من بين جوانحى، ولتلقين بها بعيداً عن جسدى!

- هدئ من روعك.

- أنى أمقت هذه النفس الخاملة الميتة، لتخلقنى خلقاً جديداً ولتجعلنى رجلاً ذا بأس واقتدار!

وجعل الشيخ يلاطف الفتى، ثم أنهضه فى وداعة، وأجلسه بجواره، وبعد حين قال له في هدوء ورزانه: ارو لى قصتك يا بني.. إنى مصغ إليك.

ودعم الفتى وجهه براحتيه، راح يرسل الطرف أمامه فى ذلك الفضاء العظيم حيث يبسط الغسق على الكون غلالته السوداء، وأنصت برهة إلى ما

يحـيط به من صمت شـامل، ثم تكلم قـائلا: أنا (راموسى)، ولكن مـاذا يهمك من اسمى ؟ أن (راموسى» نكرة لا يحس وجوده أحد.

- تكلم..

- إنى أسكن على مسيرة شهر من هنا.

- فى بلدة (رنسى)؟

- نعم.

- ذات المعابد الأربعة والمسلات الخمس؟

فـواصل (راموسى) حـديثه، وقـد رق صـوته وضعف: وحـيث تسكن الأميرة أشمس.

وطأطأ رأسه حيناً، ثم رفع عينيه بغـتة وسددها فى وجه حابى) وقال فى صوت غـير متسـاوى النبرات: أريد أن أكون عظيمـاً.. أريد أن أكون ثرياً تزخر خزائنى بالأموال.. أريد.

فابـتسم الشـيخ فى هدوء وقاطعـه قائلا: إنه ليس بالطلـب المستحـيل. فاستنار وجه الشاب بلمعة متلألئة، وقال:إذن ستأتى لى بمعجزة!

إن ما تسمـيه أنت معجزة يا بنى، أسـميه أمرا قد يسـتعصى على بعض الناس، ولكنه فى مقدور آخرين.

فهـوى (راموسى) على يدى الشيخ وانهـال عليهمـا تقبيـلا، وهو يقول شكراً ..شكراً سأذكر ذلك ما حييت، وسأعوضك عنه أضعافاً مضاعفة.

ثم رفع رأسه وقال: أما الآن فليس لى ما أقدمه لك سوى.. وتعثر لسانه بكلمات فسكت، وأشار إلـى الصرة التى بجواره، وفتحها بيـد راعشة أمام

(حابى) فنظر فيـها الشيخ فإذا خليط من قطع المعـادن، بينها شىء قليل من الفضة والذهب، وتابع (راموسى) كلامه، وقد غض من بصره: هى كل ما تبقى لى مما أملك.

- أبقها لك.

- إنها قليلة.. أعرف ذلك.

- لا، فهى كثيرة إذا كـانت منك، وهذا يكفى.. ولكنى لست فى حاجة إلى عطاء الناس.

ونهض (حابى) فى هدوء، وهو يقول: ألا ترى يا بنى إن المـساء قد أقبل يحمل فى أعطافه برد الليل وأنا كما ترى شيخ كبير!

وتركا المصطبـة، ودخلا قاعـة غير رحـيبة بسقف مـنخفض، تكاد تكون عارية إلا من حـصير وغـطاء، وأشعل (حابى) مـصباحـه الزيتى، ثم جلس وأراح ظهره عـلى الجدار وطوى يده إلى صـدره، وجلس (راموسى) قـبالة الشيخ متربعاً، لا يفصله عنه إلا المصباح، وانقضت برهة لم يتكلم فيها أحد منهما، ثم سمع (حابى) يردد فى صوته الرزين: إنى مصغ إليك.

فلم يحول الفتى عـينيه عن المصباح، وقال: كيف أبدأ لك قـصتى، حقاً إنه لجنون ما فكرت فيه، غير أنى لست نادماً على شىء.

لقد كنت أحيـا يا أبت متبطلاً، أخرج من دارى المهـدمة إلى النهر، أتنزه على شاطئه حيث بساتين الأمراء أقـضى اليوم كله أتنقل بينها أستمتع بمرأى الرياحين وأستنشق عـرفها الذكى، فإذا تعبت أستـرح بجوار الماء وأخرجت الناى أناجيه ويناجينى.

- أموسيقى أنت؟

- لم أجرب أن أصفر إلا لنفسى.

وأخرج (راموسى) من ثنايا ثيابه نايا من غاب. ساذج المظهر وأراه الشيخ قائلاً: إنه صديقى الذى لا يفارقنى أبداً.. صديقى المطلع على سرى، العالم بما يجيش فى قلبى من أمانى وأطماع.

- أمانى وأطماع قد تبدو لك بعيدة التحقيق.

- إننى أضعها بين يديك، فافعل بها ما تشاء.

- ألم تكن راضياً عن حياتك الهادئة؟

- كل الرضا.

- إذن (هى) التى غيرت حالك.

- نعم هى (أشمس) أميرة الأميرات، وأقربهن صلة بفرعون الأعلى.

- أتم حديثك.

- رأيتها يوماً تتنزه فى بستانها، فسحرنى جمالها من أول نظرة، رأيتها ترتاد الخمائل فى حاشيتها، فجعلت أرقبها خلف دغل من الأشجار.

وأضاءت فجأة شمس وهاجة كشفت لى دنيا عظيمة كانت مختفية عنى، وإذا أنا أقطع عهداً بأنها لن تكون لسواى، ولما عدت إلى دارى، وراجعت هجسات ضميرى، هزئت بنفسى وكلى سخط وألم، ولكن عهدى ما زال ثابتاً على الرغم من كل شىء، لا يتقهقر ولا يتزايل، بل يتقدم فى جرأة وإقدام، ولكن كيف أنفذ ذلك العهد؟ هذا ما كان يحيرنى ويؤلم قلبى منذ

ذلك اليوم جعلت طريقى إلى بستانها، لا أعرف سواه، أقضى على مقربة منه يومى، أراها ولا ترانى فإذا صعدت فى قصرها انتحيت نحو الشاطئ وتخيرت مكاناً ظليلاً، وبثت شكواى للناى، فكنت أسمعه أحياناً يهمس لى: (لماذا لا تحاول التقرب إليها؟ لماذا لا تكشف لها عن كوامن صدرك)؟

– ولماذا لم تذعن لما أوحى لك به صفيك الناى؟

– أتريد منى أن أستمع لذلك الشاذج الغرير؟ ألم أقل لك من هى؟ إن فيها من دم الآلهة يا أبى، كلنا نعلم أن عظماء تقدموا إليها بقلوبهم فردتهم خائبين، لقد أمضيت يا أبت الليالى الطوال أفكر فى مصيرى معها لابد أن تقع معجزة تحولنى من صعلوك بائس، إلى أمير يفوق جميع الأمراء يرضاه فرعون وترعاه (إيزيس) وكان أن اشتد بى الضيق يوماً، فجريت صوب النهر وهممت أن ألقى بنفسى إلى التماسيح، وفى تلك الساعة الفاصلة سمعت هاتفاً يقول لى: (اذهب إلى حابى) الحكيم، فعنده تتم المعجزة!

فتمتم الشيخ (حابى): أقال لك الهاتف ذلك؟

قسماً بإيزيس، لقد سمعت صوته واضحا يرن فى أذنى، وكانت التماسيح قد خرجت برءوسها تنظر إلى متنمرة، فوجدتنى فى لحظة أنفر متراجعاً عن النهر، وانطلقت أعدو.

أكنت أعدو حقاً؟ لا أدرى! كنت أحس أنى محمول بقوة خارقة غير منظورة وفى الغد بعت ما أملك وجمعت مالى، وحملت زادى وسرت وجهة دارك.

فأمسك (حابى) بيدى (راموسى) وضغطهـما وهو يقول: ستتم المعجزة يا ولدى.. فاعتمد على.

- إذن ستجعلنى أمير الأمراء، وستجعل من (أشمس) زوجة لى؟

- إن علمى لا يتطاول إلى مثل هذه الأمور.

- كيف؟

- كل ما أقدر عليه أن أعمل على تغيير نفسيتك.

- أوضح يا أبى!

- سيـتغـير فيك كـل شىء.. شمائلك الأصـيلة ستنقلـب إلى ضدها: الخمول سيـغدو نشاطاً متأججـاً، والقناعة ستكون طمعاً صاخـباً، والرحمة ستـفسح مكانها للقـسوة والعنف، ستكون حـياتك يا (راموسى) كالبـركان الفوار. لا يخبو له لهب، ولا يسكن له زئير!

فطأطأ (راموسى) رأسه، وقال: أبت!

- ليس ثمة طريق لما تطلب من ثروة وجاه، إلا هذا الطريق.

وصمت (راموسى) لحـظة، ورأسه منحن على صدره، وبغتـة رفع وجهه إلى (حابى) وقال: ولكن.. حبى، حبى للأميرة.. أيعتريه تغير؟

- حبك باق كبقاء الروح الخالدة، ولكن.

- ماذا؟

- أواثق أنك ستكون سعيداً بنفسك الجديدة بعد أن تتم المعجزة، وأنه لن يراودك الحنين إلى نفسك الأولى؟

- كلا . . كلا!

ودارت عجلة الحياة، الأيام تلو الأيام، والأشهر إثر الأشهر، وكان ملك المغرب قد دعاه الطمع لامتلاك (مصر) فسير إليها الجيوش الكثيفة فغزت المناطق الشمالية فى غير عسر، ثم اندفعت فى طريقها تكتسح أمامها جند الوطن، ولم يُجد تعيين القائد الكبير (روادا) أميراً على الجيش الذى أرسله فرعون لإنقاذ البلاد، إذ أصيب (روادا) بهزيمة نكراء، وقتل فى المعركة، وكاد الجيش يتفكك ويندثر لولا أن قيض الله شاباً من بين المحاربين تقدم لقيادته، فأخذ يجمع شمله، ويبث فيه روحاً جديداً، فلم [illegible] وقت طويل حتى انقلبت الهزيمة إلى هجوم، [illegible] ـهى الهجوم إلى مطاردة للعدو فاكتساح كامل له، وأصبح [illegible] الشاب قائداً للجيش ولقب نفسه بـ «الأمير الأسود» إذ كان يرتدى السواد دائماً، ولم يكتف الأمير الأسود بصد هجوم الغزاة، بل تابع زحفه فى جرأة غريبة ففتح) مملكة المغرب بأسرها، وأخضعها لفرعون، فصارت تابعة لمصر.

كانت (رنسى) المدينة ذات المعابد الأربعة والمسلات الخمس، حاضرة مصر الثانية، تحتفل احتفالا رائعاً بقدوم الجيش المنتصر وعلى رأسه أميره الأسود، فقد عاد محملاً بأسلاب وغنائم، لم يأت بها قائد منتصر من قبل، وكان موكبه حافلاً بالأسرى العظام من الأمراء والحكام وسراة الدولة المغلوبة، أما بقية الدهماء فقد اكتفى بقطع أيديهم وأطلق سراحهم، كى لا يعطلوا سير الموكب بكثرة عددهم، ولكنه احتفظ بتلك الأيدى، فحملها معه ليقدمها إلى فرعون رمزاً للخضوع والطاعة.

وتمت مراسم الاستقبال فى عظمة وفخامة جديرتين بالقائد العظيم والفاتح الكبير، ولكن الأميرة (أشمس) أولى سيدات البيت الفرعونى تخلفت عن حضور الاحتفال وأرسلت تعتذر لفرعون، وكان فرعون يعرف ما طرأ عليها من شذوذ فى طباعها واعتزالها العالم، فقبل عذرها على مضض، ولكن رسول الأمير الأسود جاءها يحمل من الأمير نفسه رغبته فى زيارتها قبل الغروب لأمر ذى بال فلم تجد مخلصاً من استقباله وأمرت أن يعدوا القصر لهذا القدوم.

وأخذ الأتباع يعملون بجد واهتمام فى تزيين القصر، فما كادت الشمس تؤذن بالمغيب حتى بدا القصر خلال الظلام كأنه قطعة من لؤلؤ يتألق، وانتشر الطيب الذكى فى أرجائه، فكأنه روضة فواحة من الأزهار النضرة.

وجاء الأمير فى الموعد فى حفل من قواده، ودخل القصر وهو يضرب الأرض بقدميه الصلبتين ضربات شديدة، تردد صداها فى جوانب المكان وجعل يلتفت يمنة ويسرة بوجهه الرائع، الذى تدل كل لمحة من لمحاتة على رجولة قوية قاسية، وكانت لعينه الواسعة إشعاعات قوية باهرة، لا تقوى عين على تحديها.

وما إن دخل البهو الكبير، ورأى الأميرة واقفة فى صدره، تحف بها وصيفاتها حتى توقف بغتة، واتسعت حدقتا عينيه، وتفتح وجهه فى لحظة بنور متألق تشيع فيه الأحلام، وأمسك بيد رفيق له بجانبه وشد عليها وطالت وقفته على هذه الحال، والناس من حوله صامتون، وأخيرا همس رفيقه فى أذنه: مولاى!.. إن الأميرة تنتظرك.. تقدم.. وتقدم الأمير

الأسود بخطوات لم تردد صـداها جوانب المكان هذه المرة، وركع أمامـها، فأنهضته وهى تقول: نحن الذين يجب أن نركع أمام المنقذ العظيم.

ورفع وجهه إليهـا وقال فى صوت متخافت: عـفوا مولاتى.. أمام هذا الجمال الإلهى، يستشعر القائد العظيم ضالة نفسه وتفاهة مجده.

- سيدى!

- ليس ثمة عظيم أمامك يا مولاتى.. كلنا من أتباعك المخلصين.

وتهامس الناس فيما بينهم دهشـين حيارى.. لم يشاهد الأمير على هذه الصورة، حتى فى حضرة فرعون الأعلى.

وبدأت الجموع تتفرق، والمكان يخلو للضـيف وربة القصر، وأخذ القائد يروى وقائعـه ويعدد أسلابه ويـذكر ما ناله من مـال وضياع، تعـادل أموال فرعون العظيم، وخـتم حديثه قائلاً: إن الأميرة لتعلـم أن فرعون بلا عقب وهو الآن شيـخ مثقل بالمرض، وقـد طالبه الكهـنة بتبنى أمـير يجعلـه ولياً للعهد، أمير أهل لهذا المنصب الخطير.

- وهل وقع اختيار الملك على هذا المحظوظ؟

فابتسم الأمير ابتسامة ذات معنـى، وقال: لقد أتم اختياره سرا، وسيعلنه غدا فى الهيكل الكبير.

وصـمـتت (أشـمس) وهى تتـفـحص الأمـير طويـلاً.. ثم انحنت فى خشـوع،، وهى تقول: يسـعدنى أن أكون أول من يقـدم طاعتـه لصاحب التاجين، وارث ملك الفراعنة العظيم.

فأمسك الأمير بيدها، وقال: هذا الملك العظيم، وهذا النصر الباهر، وهذه الأموال التى لا يستطيع أن يحصيها أحد، وكل ما كسبته وما سأكسبه أضعه تحت قدميك أنت يا أميرتى ويا مولاتى.. أقدم لك هذا إزاء شىء واحد منك.

فأسبلت الأميرة جفنيها.

وتابع الأمير حديثه فى لهجة مشبوبة: كلمة منك يا (أشمس) تجعل هذا الوادى الفسيح بسكانه وكنوزه، هذا الملك الضخم، طوع يديك، قولى كلمة الرضا، ثم مرى فلن يعصى لك أحد أمراً.

– ألا نذهب إلى المستشرف فنلقى نظرة على البستان؟

فأجابها الأمير وهو حائر: كما تريدين.

وذهبا إلى المستشرف، وأطالت الأميرة النظر إلى الحديقة وهى تصعد بصرها فى أشجارها، وأزهارها، ثم قالت: أيسمح لى الأمير أن أقص عليه قصة صغيرة؟

فأجابها وهو يزداد عجبا: إنى مصغ إليك يا أميرة.

– كان فى الزمان الغابر فتاة من الأثرياء، من أسرة رفيعة النسب، تحيا ناعمة البال فى قصرها، ذى البستان الكبير، حياة ترف ورغد، ولم يكن لها مطمع تصبو إليه، إلا العثور على زوج تنعم معه بحب ووفاء شأنها فى ذلك شأن كل فتاة، وحج إلى قصرها أعلى الأمراء شأنا وأعظمهم وسامة وثراء، يطلبونها للزواج، فردتهم بلا أمل.

- ولم ذلك؟

- لأنها كانت مخدوعة فى نفسها مغرورة بجمالها فلم يرقها واحد من هؤلاء الأمراء.

- ومن كانت تنتظر أن يتقدم لها بعد هؤلاء، وهم صفوة البلد؟

وتريثت الأميرة فى إجابتها، وهى تسرح طرفها فى الأفق، حيث الظلام يقبل فى وحشته وصمته وأسراره.. وقالت: هى نفسها لم تكن تدرى، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنتظر وتؤمل!

- وهل طال انتظارها؟

- لا.

- إذن عثرت على ضالتها؟

- نعم أيها الأمير..

-أكان قائد غازيا؟

- أو وزيرا خطيراً؟

- لا.

- لا!.. إذن هو ملك من نسل الآلهة!

- ولا هذا أيضاً.

- من يكون إذن؟

- وأرسلت الأميرة تنهيدة خفيفة، وقالت فى صوت هامس: شاب رقيق الحال، مرهف الشعور.

- وما مهنته؟

- ليــست له مهنة، كــان يقضى، أيامــه يجــوب البســاتين، ويتنزه على ضفاف الأنهار، يستمتع بمحاسن الطبيعة.

- إنها حياة أقرب إلى التبطل والصعلكة.

فتمتمت الأميرة بلهجة الحالم وهى تستقبل بعينيها كتائب الظلام المتراكم: قد يكون ذلك ولكنه الوحيد الذى استــطاع أن يصهر كبرياءها، ويحطم تاج غرورها.

- هو. . ! أممكن ذلك؟

-أجل . . لقد أحــبته الفــتاة. . أحبت فــيه ذلك الشــاعر المرهف الحس ينشدها أعذب ألحانه وأرقها!

- أكان شاعــراً ينظم لها القصائد، وينشدها أياها؟ أم كــان ينظم قصائده بلا كلام، وينشدها إياها من مزماره الرخيم؟

فأصابت الأميرة هزة شديدة وقــالت فى صوت جياش: لا فهى لم تره، بل أغرمت به على البعد. ولا تدرى أرآها أم لا.

-لا ريب فى أنه رآها.

- ليس ذلك مؤكدا فأنظار هذا الشاعر الجوال كانت أقصر من أن تخترق خمائل البستان أو جدران القصر، لتكشف الفتاة وتلتقى بأنظارها.

- يا للفتى البــائس! لو علم أنها تضمر له هذا الحب لطار إلــيها، وارتمى تحت قدميها يلثمها فى عبادة.

- من يدرى أيها الأمـير؟.. إنه فتى غـريب الأطوار يعيش وفق هواه.. قد يرفض حبها ولو تقدمت به إليه.

- محال..!!

- لو كان يعـلم كيف أحبـته هذه الفـتاة وكـيف ترضى أن تعيش مـعه، تقاسمه حياته الطليقة فى دنياه الرحبة الوضاءة، لقبل منها هذا الحب!

وتمتم الأمير بكلمات متقطعة، وقد شـد بيده على حاجز المستشرف حتى كادت أصابعه تدمى.

وتابعت الأميرة حديثها: لقد برمت الفـتاة بحياة الثروة والجاه التى تحياها واتضحت أمامها بشاعتها، واحست ثقلها المرهق يحبس أنفاسها... فرغبت أن تفر من بيـئتها تسـتبدل الكوخ السـاذج الهادى بالقصـر المنيف الصاخب والرداء الخـفيف المزين بالأزهار بالثـوب اللامع باللآلئ.. لقـد برمت بكل شىء يحيط بها واشتدت بها الرغبة أن تهرب فتلحق بشاعرها تقضى حياتها فى حمى مزماره.

- ولكنها لم تفعل..!

- لقد كادت.. ولكن الفتى اختفى فجأة.

- أهرب؟..

- أن الناس يرجفون بموته فـقد تكون التماسيـح أكلته، ومن ثم أسدلت الفتاة على حياتها سترا غليظا يحجبها عن العالم أجمع.

- قد تسلوه يوماً، فترضى الزواج بأمير كبير.

– إن القصة تحدثنا أن الفتاة قضت فى عزلتها عامين، وهى لم تتغير فيها .. وبقيت تترقب شاعرها الفقير كما هو، بردائه الشاذج، وقلبه الكبير .. ولن تستبدل به أحداً مهما عظم قدره واتسع ماله!

– وهنا تنتهى القصة.. أليس كذلك؟

– تكاد تنتهى، والبقية فى كلمتين.. أتريد أن أتمها لك؟

فقال الأمير، وهو يضغط كلماته فى حسرة مكتومة: إذا رغبت، أتممتها أنا لك!

فتمايلت الأميرة وعرضت على وجهها ابتسامة، وقالت: كيف؟ أو تعرفها؟

فقال الأمير فى شىء من السهوم: إن براعتك فى رواية القصة قد جعلتنى أعرف خاتمتها!

وراح الأمير يحد بصره فى نحوم الليل البعيدة كأنه يريد أن يستلهمها كلمة نصح أو هداية.. ولكن لم تظل وقفته على هذه الصورة، فانحنى أمام الأميرة يقول: لن أنسى ما حييت حسن احتفائك بى.

وقبل يدها قبلة طويلة عميقة، ثم ترك المكان لا يلوى على شىء، وأقلته على الفور عجلته الحربية، بعد أن استأذن رفاقه فى أن ينصرف وحده، وانطلقت به العربة هائمة فى أديم الصحراء تشق أمامها الظلام شقا.

* * * *

«حوريس» والعقرب

حوريس والعقرب

إن قصه «إيزيس» كانت من أحب القصص الإلهى إلى المصريين. ولا غرابة فى ذلك فهى قصة امرأة معذبة فجعت فى زوجها ثم ذاقت الأمرين أثناء البحث عن جثة هذا الزوج المقتول كما وقفت وحيدة تدافع وتناضل من أجل وحيدها حوريس الذى بث فيه نزعة الثأر لأبيه.

والقصة الآتية هى واحدة من تلك القصص التى تداولتها ألسنة المصريين وتظهر فيها «إيزيس» ككل أم حنون لا تألو جهداً فى تنشئة وحيدها لكى ينفذ ما بثته أمه فى قلبه الصغير من عاطفة الثأر لأبيه المقتول ولكى يتولى شئون الحكم كوريث وحيد لأبيه «أوزيريس» ملك الشمال والجنوب.

ولم تكن هذه القصة تعتبر فقط كأسطورة يتحدث بها الأب إلى ابنه أو الأم إلى ابنتها ولكنها كانت فى نفس الوقت واحدة من القصص التى كانت تستعمل لأغراض سحرية. إذ اعتقد المصرى اعتقاداً راسخاً بأن الأساطير التى تتحدث عن بعض شئون الآلهة وخاصة تلك الشئون التى تتعلق بمصائب حلت ببعضهم اعتقد أن هذه الأساطير تصبح ذات أثر فعال إذا استعملت كتميمة سحرية. إذ أن الأساليب التى تخلص بها هذا الإله أو ذاك من محنته هى بعينها التى تخلص من يستعملها من البشر من محنة مماثلة.

واعتاد بعض المصريين أن يقيموا أمام منازلهم لوحة حجرية نقشوا فوقها صوراً تمثل الإله «حوريس» وهو يطأ بقدميه تمساحين ويقبض بيديه على

بعض العقارب والثعابين وغيرها والمقصود بهذه اللوحة أن تمنع هذه المخلوقات الضارة من أن تدخل المنزل وتفتك بسكانه.

وهناك نموذج جميل من هذه اللوحات وجد بين مخلفات الكونت (ماترنيخ) ويعرف بين العلماء باسم لوحة ماترنيخ.

وفيما يلى ترجمة للنصوص السحرية المنقوشة فوقها، وهى كما قلت تتحدث عن أسطورة من تلك الأساطير التى كانت شائعة بين الشعب المصرى،وهذه الأسطورة تتحدث عما حدث للإله «حوريس» من أحد العقارب وتستعمل أيضاً تعويذة تقى من لدغ العقرب.

* * * *

حدث ذات يوم بعدأن فتك «ست» بأخيه الطيب الخير «أوزيريس» أن سجن «ست» زوجة أخيه وأخته «إيزيس» خوفاً من مكائدها ودرءاً لما تتمتع به من تأثير كبير على الناس.

ولكن الإله الحكيم «تحوت» تبدى ذات ليلة للإلهة «إيزيس» وفك قيودها وأخرجها من سجنها آمراً إياها أن تهرب نحوالشمال وتخفى نفسها بين مستنقعات الدلتا وتنتظر هناك حتى تضع ابنها من «إوزيريس».

وزود «تحوت» إيزيس بسبع عقارب لكى تحميها وتدافع عنها أثناء رحلتها إلى الشمال. وكانت أوامر«تحوت» إلى هذه العقارب السبعة أن:

«اتجهى نحو الشمال، ولتكن حواسك يقظة للطريق».

وأطاعت العقارب السبعة الأوامر فسارت واحدة أمام الآلهة لتفسح لها

الطريق وسارت اثنتان منها على كل من جانبى الآلهة وبقيت اثنتان فى المؤخرة.

وبعد أن سار هذاالموكب أياماً طويلة مضنية وصلت «إيزيس» وأتباعها إلى أرض المستنقعات فى شمال الدلتا وكان الليل قد أقبل عندما وصلت الإلهة حدود قرية صغيرة.

ولما كان التعب والإجهاد قد نالا منها، وكان الجوع قد أخذ منها مأخذه فقد اتجهت نحو منزل رئيس القرية ورجته فى أن يستضيفها أثناء الليل.

ولكن زوجة الرئيس وكانت متعاظمة ذات كبرياء رفضت أن تسمح لهذه المرأة الغريبة التى كان مظهرها لا ينم على أنها الإلهة الملكة «إيزيس» بمضاء الليل فى ضيافتها.

إلا أنه حدث أن مرت فى ذلك الوقت امرأة فقيرة تهش على طيورها، فأخذتها الشفقة على هذه الطارقة الغريبة ودعتها لتمضية الليل فى كوخها الحقير.

وشعرت العقارب السبعة التى صاحبت «إيزيس» فى رحلتها الطويلة بالمذلة والإهانة التى لحقت سيدتها «إيزيس» من زوجة رئيس القرية وأضمرت الثأر من هذه المرأة.

ونفذت مؤامرتها بأن أفرغت ست منها سمها فى ذيل السابعة التى زحفت بهدوء من تحت باب المنزل ووصلت إلى ابن رئيس القرية وكان يغط فى نومه ولدغته وسرى السم المضاعف سبع مرات فى جسم الطفل الذى استيقظ مذعوراً من نومه وصاح صياحاً سببه هذا السم المضاعف سبع

مرات، فانزعجت أم الطفل وانحنت عليـه تضمه إلى صدرها الحنون ولكن الطفل كان بين الحـياة والموت. ولـم يستطع أحـد أن يشفيـه من هذه اللدغة المميتة.

ولـم تسـتطع الأم المسكينة فى مـحنتـها إلا أن تخـرج إلى الشـارع وهى تصرخ وتولول وهى أشبه ما تكون بسمكة تشوى فى النار.

وسمـعت «إيزيس» هذه الضوضـاء وأدركت ما ينم عليـه صوت الأم من الجزع. فسارعت إليها واستفسرتها خطبها.

ولكنهـا رأت ويا هول ما رأت فقـد ارتطم أحد سكان المنزل أثـناء الهرج والمرج الذى حدث بمصـباح فى المنزل، فـاندلعت النيران منه واشـتعلت فى المنزل وبذلك تضاعفت المصائب التى حلت بمنزل رئيس القرية الذى فقد ابنه وأكلت النيران منزله.

وهنا رق قلب الإلهة على الأم الثكلى ونست الإهانة التى ألحقتها بها منذ هنيهة ونادتها قائلة:

« تعالى إلىّ، تعالى إلىّ.

«إنى اكتسبت من أبى مهارة استمددتها من فمه.

«إن فمى له قدرة سحرية لا مثيل لها».

فسارعت المرأة إلى «إيزيس» ووضعت أمامـها ابنها. ولما كانت الإلهة قد تنبأت بما حدث فإنها تمتمت بتعـويذتها السحرية منادية سم كل من العقارب السبع آمرة إياه أن يستل سمه من جسم الطفل.

ما أقوى سحرها وما أشد نفوذه! إذ لم تكد تـنتهى من تمتمتها حتى سال السـم خارجاً من جسم الطفل ودبت الحياة فيه.

فلتقفته أمه معافى شـاكرة متلهفة. ومن غريب الأمر أنه فى اللحظة التى استـعاد الطفل فيـها صحـته انطفأت النيـران بقوة سحـرية من منزل رئيس القرية.

أما مـا كان من «إيزيس» فإنهـا اعتزمت الاختـفاء من القرية بكل سـرعة خوفاً من بطش «ست» وأسرعا خطاها متوغلة فى أحشاء المستنقعات لتختفى عن أعين المتطفلين من الناس.

وفى هذا المكان الموحش استـقـبل الحـياة «حـوريس» بعد أن ذاقت أمـه الأمرين فى وحدتها المضنية وقالت «إيزيس» بعد أن ولدت طفلها:

«ولدت «حوريس» بن «أوزيريس» بين مستنقعات البردى وفرحت بولادته كثيراً لأنى جلبت الحـياة إلى من سيجيب صوت أبيه ويثـأر من قتلته. ولقد أخفيته وحجبته عن أعين الرقباء».

* * * *

وهكذا عاشت الأم مع وحيدها بين هذه المستنقـعات الموحشة ولا هم لها إلا تنشئته ورعايته، فلا تتركه إلا لوهلة قصيرة لتحصل على ما يقيم حياتها من مأكل أو مشرب.

ولكن «ست» الشـرير علم بالأمر ونمـا إليه أمـر هذا الطفل فأرسل إليـه عقرباً لتلدغه فى فترة غيـاب أمه عنه، وعندما رجعت وجدت وحيدها يكاد

يفارق الحيـاة وهو مستلق على الأرض التى رواها الماء الذى سـال من عينيه والزبد الذى خرج من فمه.

كـان جسـمه لا حـراك به وكانت نبـضات قلبـه قد تضـاءلت وخفـتت وتقلصت عضلات أعضاء جسمه.

وعندما رأت «إيزيس» حال طفلهـا صرخت صرخة مدوية سمـعها الناس فى القرية المجـاورة. فهرعوا إلى مـصدر الصوت وصـاحت امرأة من بينهم قائلة:

«لابد وأن «حوريس» قد لدغته عقرب».

أما «إيزيس» فـقد قربت أنـفها من فم الطفل لتـستطلع دبيب أنفـاسه ثم فحصت جرحه ووجدت السم عالقاً به.

ورغم أن «إيزيس» قـد تمكنت من أن تشفـى ابن رئيس القرية من مـحنة مماثلة إلا أنهـا لم تستطع إبراء وحـيدها. ولعل ذلك لأن العـقرب فى هذه الحالة قد بعث به إله ولم يكن عقرباً عادياً.

وأخذت «إيزيس»فى محنتها هذه تصرخ مولولة:

«أى «رع» إن ابنك «حوريس» قد لدغ.

إن «حوريس» قد لدغ.

وهوالوريث والمولى على عرش «شو».

إن الطفل الجميل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ.

إن «حوريس» بن «أوزيريس» قد لدغ.

إن «حوريس» الطفل البرئ والصغير بين الآلهة قد لدغ.

«إن «حوريس» الذى أعددته لكى يثأر لأبيه قد لدغ.

«إن «حوريس» الذى خشيت أن يصيبه مكروه وهى فى رحمى قد لدغ.

إن «حوريس» الذى رعيته قد لدغ.

إن «حوريس» الطفل الذى رجوت حياته مجروح.

إن الطفل قد مات».

* * * *

وسمعت «نفتيس»أخت «إيزيس» بالحادث فحضرت باكية وكذلك الإلهة «سلكت» سيدة العقارب. ونصحتها «إيزيس» بالدعاء للسماء حتى تقف سفينة «رع» بمن فيها.

فأرسلت «إيزيس» صراخ قلبها إلى موكب الشمس فانزعج «رع» وأمر بنفسه إيقاف المركب الذهبى وألا تسير فى رحلتها اليومية.

وأرسل الإله «تحوت» ليستطلع أمر ما حدث لإيزيس. فنزل هذا الإله إلى الأرض وأخبر «إيزيس» أنه أتى ليشفى ابنها قائلا:

«ولكى أشفى كل شخص أصيب بمثل ما أصيب به «حوريس».».

ولكن «إيزيس» قابلته بعويلها نادبة ابنها الصغير، إلا أن «تحوت» أكد لها أن كل شئ سيسير على ما يرام.

وبدأ «تحوت» يرتل تعويذته السحرية معدداً أوصاف «حوريس» مقارناً إياها بأوصاف كائنات إلهية متعددة:

«حوريس تحيطه العناية.

«حوريس مثله كمـثل ذلك الذى فى قرص الشمس الذى يضئ الأرضين بنور عينيه.

«أى حوريس. استيقظ.

«أى حوريس إن حصانتك اصبحت مؤكدة.

«استيقظ وأدخل الفرح إلى قلب أمك «إيزيس».

«إن «حوريس» سوف ينشر السلام على أولئك الذين يرغبون فى السلام.

«أنا «تحوت» بن «رع» البكر.

«إن «آتوم» وأصحابه أصـدروا أمرهم لى بأن أشفى «حوريس» لتـقر عين أمه.

«ولأشفى كل من كان مصاباً بنفس العلة.

«سيحيا «حوريس» من أجل أمه.

«وسيحيا كذلك كل من كان مصاباً بنفس العلة».

* * * *

العائد من الموت

العائد من الموت

ولادتى :

كان جدى الأكبر، الإله الأعظم «رَعْ» المتمـثمل فى وجه الشمس المشرقة يخشى من أن يثمر زواج حفـيديه «نَتْ» إلهة السماء، و«جبْ» إله الأرض، أن يثمـر استـمراراً لسلالة الآلهـة، وكان يرى بحكمـته اللامتـناهية أن هذه السلالة ستنبثق عن إله من صلبه ينازعه فى ملكوت الكون.

فكان أن حـرّم على حـفيـدته «نت» أن تلد طـفلاً مـا خـلال أيام السنة الثلاثمائة والستين (٣٦٠) كما كان تعداد السنين فى وقتها، فلجأت والدتى «نت» إلى صـديقهـا الحكيم «توت» إله العلـوم واللغات، الذى أراد إيجـاد طريقة ما تمكن «نت» من الإنجاب دون التسبب بغضب العظيم «رع» فكان أن لجأإلى «سيلينا» إلهة القمر التى تعكس نور «رع» فى غيابه وراهنها على حزم من ضوئها إن هو تغلف عليها، فاستداع جمع ما يعادل الضوء المنسكب فى خمس ليـال قمـرية لنفسه ولازالت «سـيلينا» إلى اليوم تعـانى من آثار هذه الخسارة فلا تملك القدرة على الإشراق بنفس القدر من القوة طوال الشهر.

وأضاف «توت» هذه الأيام الخـمسة بين نهـاية وبداية كل سنة، وولدتنى «نت» فى أول ليلة منها، وكانت ولادة ابنى «حُورَس» لاحـقاً تصادف الليلة الثانية، ثم كـانت ولادة شقيقى «سِتّ» إله الشر فى اللـيلة الثالثة، ومن ثم

تبعتـها ولادة كل من «إيزيس» زوجتى ومخلصتى إلة الخـصب والأمومة فى الليلة الرابعة وشقيقتها «نبوت» زوجة «ست» فى آخر الليالى، وهكذا تمكنت والدتى «نت» من إنجاب السـلالـة التى أرادت دون الخـروج عن أمـر الإله الأعظم «رع» الذى بارك أبناءها وضـمن السنة الأيام الخمـسة قـبل أن يغادر الأرض إلى السمـاء تاركاً ملكها لأعظم أحفـاده شأناً ألا وهو «أوزوريس»، ونودى فى كل المعـابد يوم ولادتى أنه قد ولد اليـوم ملك الملوك وإله الخـير لهذه البشرية.

عهـــدى :

كما هو مقدر، تزوجت من ملكة الفتنة وإلهة الخصوبة والزرع «إيزيس»، وكانت البشرية فى حال يرثى لها مـن قتال وكراهية عمت أرض النيل، ولم يكن هناك من أثر لحضارة ما أو رقى ملموس فى حال الشعوب.

واسـتطاعت «إيزيس» بحكمـتهـا الموروثة أن تتـعلم الاسم الأعظم للإله «رع» فحازت منه ملكية أرواح الـبشر جميعاً وسـرها، ومنحت قوة سحرية عظيـمة دأبت على تسـخيـرها فى خدمـة البشـرية التى تقطن أرض النيل، فأحضرت القمح والشعير من أرض بعيـدة وعلمتهم زراعتها وإمدادها بالمياه من النيل الوفـير وصنعت لهم قنوات الرى، وكيف يـحصدونهـا ويصنعون منها الخبز وعلمتهم تجفيف الحبـوب واعتصار الخمر من العنب وسميت لهم أسمـاء الحيـوانات التى لا ضيـر عليهم فى أكل لحـومها، ثم وضـعت لهم القـوانين وأرخت بينهم سلام الإنسـانية، وتعلمـوا كتـابة الأشعـار والغناء وصناعة السعادة.

ولم أكن على القدر الكافى من الحيطة لأعلم أن أخى «ست» الذى تزوج من شقيقتى «نبوت» يضمر لى الشـر والخطيئة، وأن الحسد الأعمى يتصاعد فى قلبه المظلم كـالجحيم - مملكته - كلما صـادفت نجاحاً أكتسب به مـحبة أكبـر فى قلوب البشر، وحـتى يوم عودتى من إرسـاء السلام فى الأراضى البعـيدة كان «ست» أول مـن استقـبلنى بالحفاوة البـالغة وسن الركـوع أمام أقدامى من قبل الآلهـة الباقية، ولهذا لم ألتـفت لشكوك وتحذيرات زوجتى «إيزيس» حوله.

مقـــتلى :

كان «ســت» يعمل بخـبث ودهاء عظيمـين بحثـاً عن وسيلة تضـمن له التـخلص منى طمعـاً فى الجلوس على عـرشى ، فاسـتطاع الحصـول على مقـاييس جسدى ثم صنع تابوتاً نادراً من خـشب الأبنوس والسدر اللذين لا ينبتان فى أرض النيل وطعـمه بالذهب والفضة وصنعه مناسبـاً لمقاييسى بدقة كبـيرة، ثم أقام مأدبة فـاخرة على شرفى ضـمت اثنين وسبعـين من أعوانه ورفاقه فى مؤامرة لم تشهد لها الدنيا مثيلاً.

فى تلك الليلـة، أغرقنـا «ست» بأغلى وأرقى أصناف الطعـام والشـراب وعزفت من القيان والجوارى أجمل الجميـلات، ثم أحضر التابوت فسحر به أنظارنا، ولما تأكد من انجذابنا جميعاً إلى جـماله وعظيم صنعه ودقة تفصيله أعلنها: أن مـن يرقد فى هذا التابوت فـيناسبـه طولاً وعرضـاً، أصبح له، فهب الجميع واحداً تلو الآخر لتـجربته، ولكن أنى يفوز به أحدهم وهو قد

صنع خصيصاً لى؟ فلما فشلوا جـميعاً فى الفوز بالتابوت دعانى «ست» إلى تجربتـه، وما أن رقـدت فيـه وأرحت فيه جـسدى للحظة حـتى همس: إنه يناسبك تمامـاً، وجدير به أن يلازمك إلى الأبد! وأغلق الغطاء بقوة وخـتمه بالحديد وكذلك سد جميع الثغرات فى التابوت بالمعدن الثقيل، ولما تأكد من إحكامه سارع ورفاقه بإلقائى فى نهر النيل بكل الحقد الطاغى فى قلوبهم.

عندها غـادرتنى الروح باتجاه الـغرب إلى يأرض الحـساب، ولم أسـتطع تجاوزها إلى جنتنا «أمنيـتى» لأن جسدى لم يعـثر على راحته بعـد، وأبحر التابوت شـمالاً فى مياه النيل حـتى الدلتا ثم غادره إلى البـحر الأعظم ولم يتوقف إلا على شـاطئ قرب مدينة «بيبلوس» تحت إمـارة الملك «مالكاندر» وزوجته «أستارت» تحت جذور شجرة عظيـمة سرعان ما نمت أغصانها حول التابوت ليختفى فى جوفها.

وكان الملك «مالكندر» وزوجته فى رحلة إلى ذلك الشاطئ وأعجب بعظم الشجرة وتشـعبها فأمر بقطعـها وحملها إلى قصـره وجسدى لا يزال داخل جذعها.

عـــــودتى:

رغم أن أحداً لم يخبر «إيزيس» بمقتلى إلا أنها اسـتشعرت ما لم يطمئنها فى غيابى المفاجئ، فعمدت إلى «حورس» طفلنا الصغر وربيب الإله الأعظم «رع» وخاضت مـعه مسـتنقعات دلتـا النيل حتى وصلت إلى جـزيرة الإلهة «بوتو» فعهـدت إليها به، ثم نسفت قـواعد الجزيرة لتغادر مكـانها فلا يعلم

أحد أين أصبح «حورس»، وما إن اطمـأنت عليه حتى شرعت «إيزيس» فى عملية بحث مضنية فى أرجاء الكـون عنى، عن زوجها ومليكها المفقود دون دلالة ما أو إشارة.

تكللت بالفشل تلك الرحلة، وعادت أدراجها تحاذى النيل الأعظم مستاءة تكاد تفقد الأمل، وصارت تسأل هذا وذاك ممن تمر بهم من بنى البشر خشية أن تصاب باليـأس فكان أن أشار بعض الصبية الذين مـرت بهم إلى مرور صندوق منذ زمن يشبه الذى تصفه لهم عـبر مياه النيل، فأسرعت «إيزيس» تسابق أمـواجه متتـبعة إشارات الأطفـال والمارة على ضفتـه حتى علمت أن التابوت خـرج إلى البحر فـأخذت تبحث فى الشـاطئ هائمة حتى أعـياها التـعب فاهتـدت إلى أحد الشـواطئ لتـريح جسـدها المنهك وكان شـاطئ «بيبلوس» نفسه، وهناك التـقت بفتيات من القصر كن يستحـممن فعلمتهن طريقة عـمل «الضفائر» بشعـورهن، ولما عدن إلى القصر لفتن انتـباه الملكة «أستارت» فدللنها على «إيزيس»، واستدعتـها الملكة لتقوم على رعاية ابنيها دون أن تعرف هويتها الحقيقية.

شغفت «إيزيس» بحب الطفل الأصغر فأحبت أن تمنحه الخلود بنزع الجزء القابل للموت من جسده البشرى، ولإتمام ذلك كان عليها إرقاده كل ليلة فى نار عظيمـة وتلاوة التعاويذ، فشـاهدتها الملكة فى إحدى الليالى فـصرخت جزعة مما يحـدث لابنها مما أبطل مفعول السحـر الذى كانت تجريه «إيزيس» مما حدا بـها للكشف عن هويتـها الحـقيقـية لتطمـئن القلوب من حـولها،

واحتفالاً بها أمر الملك «مالكندر» بجمع الهدايا التى تليق بها من أنحاء البلاد لكنها أبت إلا الحصول على الشجرة العظيمة بما حوت، وكان لها ذلك فأخرجت تابوتى من داخل الجذع وخرت عليه باكية، وأصبحت الشجرة فيما بعد ذات مكانة قدسية عالية فى «بيبلوس».

أعد الملك سفينة ضخمة لـ«إيزيس» لنقلها إلى أرض النيل ضمن موكب حاشد، ورافقها ابنه الأكبر حتى أوصلها بأمان إلى الدلتا لتأخذ الإله الأصغر «حورس» وتعود بنا إلى الديار.

دفـــنى:

كانت «إيزيس» قد خبأت التابوت من ضوء القمر بين سيقان النباتات حتى تعود بالصغير «حورس» فشاءت الأقدار أن يخرج «ست» فى رحلة للصيد فى الدلتا ليفاجأ بالتماع الذهب والفضة أمام عينيه، كانت الصدمة أقسى مما يحتمل فجن جنونه وأخرج جسدى من التابوت وشرع فى تقطيعه بلا رحمة إلى أربعة عشر جزءاً ثم نثرها بكل ما أوتى من قوة فى المياه راجياً أن تأكلها التماسيح وهو يصرخ: لم يجرؤ أحد على فعل هذا بأحد الآلهة، أنا «ست» أول من يفعلها!

عندما عادت «إيزيس» المخلصة بـ«حورس» علمت بالحادثة، فأسرعت تبحث فى رمال الصحراء عن أجزاء الجسد تحرسها سبعة عقارب مقدسة، ولما لم يفلح بحثها صنعت مركباً من ورق البردى وخاضت به غمار المستنقعات، وأمامها تراجعت تماسيح النيل احتراماً للآلهة ولم تقترب حتى

من أطرافى المتناثرة، فجمعت «إيزيس» بعد عناء وجـهد عظيمين ثلاثة عشر جزءاً ولم تستطع العثـور على الأخير، ثم بواسطة سحرها وقوتهـا المستمدة من قوة الإله الأعظم «رع» تمكنت من إعادة جمـيع الأجزاء فى جسد واحد وعوضت الجزء المفقـود، وعندما انتهت عمدت إلى تحنيط الجثـة ودفنها كما يليق فى معبد لا يعلم بوجـوده إلا هى، ثم قامت بتشييد ثلاثة عشـر معبداً فى أرجاء البـلاد وأوحت أن أجزاء الجسد دفنت فى هذه المعـابد حتى تدفع أذى «ست» عنى .

انتقـــامـى:

كانـت المشكلة الأكبـر أن روحى لا تزال معلقـة فى أرض الحسـاب ولم تنتقل بعد إلى الجنـة، لا زال شقيقى «ست» إله الشر يعـيث فساداً، ولا بد من ردعه. وكـان «حورس» يكبـر فى ظل عناية فـائقة وحرص شـديد من والدته «إيزيس» وجده الأكبر «رع»، واشتد عوده شيئاً فشيئاً ونمت معه رغبة الانتقـام لأبيه وتعاظمت، وكان طيـفى قد اعتاد زيارته بين الفـينة والأخرى والتحدث معه حتى لمست اكتماله واستعداده لخوض المعركة الكبرى مع عمه «ست»، فهيـأنا له جيشاً عرمـرماً قاده إلى جانبه الإلـه الأعظم «راع» بنفسه وانطلقـا إلى جنوب البلاد حـيث معـقل «ست» وأعوانه، وواجـههـما من الأهوال مـا لا يطاق ابتداءً بإصـابة «حـورس» بالعمى من لـعنة تسبب بهـا «ست» وشـفائه على يد «رع» ومن ثم انقـلاب ميـاه النيل عليهم وحـجب السماء بغيوم شديدة الحلكة، غير أن صمود «حورس» الشجاع اضطر «ست» إلى مواجهتـه على أرض المعركة فتشكل له بشكل وحش نارى كـبير أصاب

البقيـة الباقية من ابنى بالرهبـة والخوف فتخلوا عنه، لكـن «حورس» عاجله بضربة قاضيـة من رمح جبار كان يحمله فى يده لتـغادر روح «ست» أخيراً ذلك الجسد إلى أرض الحساب، وفور وقوع الوحـش صريعاً خر أتباعه أمام عظمة «حـورس» وأعلنوا التأييد المطـلق لحاكم البلاد الجـديد. عندها فقط، تمكنت من المغـادرة إلى جنتـنا «أمنيـتى» ومن ثم نصـبت ملكاً على عـالم الأرواح أو مـا يسمـونه بالعالم السـفلى ونفـيت روح «ست» مخـذولة إلى الصحراء البعيدة. واعتاد ملوك البلاد من بعدها أن يأمروا بدفنهم بعد موتهم بنفس طريقة «إيزيس» حتى يسهل عـبورهم إلى أرض الحساب ومن ثم إلى جوارى، وكان فى ذلك النعيم الأكبر لهم.

ولازالت الأسطورة تقول إن المعـركة لم تنته بعـد بين «حورس» و«ست» وأنها ستأتى فى يوم مـا يقضى فيه «ست» تماماً ويختفى كل شـر الدنيا معه وأعود أنا إلى جسدى وبجوار زوجى «إيزيس» سيداً للآلهة.

* * * *

أبــو الهــول
حارس بوابة الأحلام

أبــو الهـــول
حارس بوابة الأحلام

تأتى كلمة سفنكس من الكلمة اليونانية shingo بمعنى الخنق أو shpingein بمعنى الربط بشدة وهذا بالنسبة لأبى الهـول الإغريقى وقد أخذ الاسم على بقية تماثيل أبو الهـول المنتشرة فى العالم العربى. ومصــر على وجه التحديد نظراً للتشابه الجسدى بينه وبين أبو الهول الإغريقى، وعلى كل حال فإن بناء أبو الهول الكبير فى الجيزة بمصر سـبق الإغريقى بكثير، أما معنى أبو الهول بلغتنا فتأتى من الشىء العظيم أو الكبير المهول.

معظم العالم الغربى يرمز لـ Sphinx بأبى الهول المصرى أو كما يسمونه Great Sphinx لأنه الأقدم والأكبر والأكثر شهرة من الإغريقى، ولقد أعيد اكتشاف أبو الهول من العالم الغـربى عند مرور نابليون بمصر معام ١٧٩٨، ويوجد الكثـير جداً من تماثيل أبى الهـول حول العالم وغالبـيتها فى مـصر والجيزة.

أبو الهول المصرى يمثل رأس ملك مبتسم يرتدى غطاءه المزين للرأس وله جسد أسد وبعضهم يعتـبره ابن ألهة الشمس المصرية «رع» وهو بذلك يمثل القوة والحكمة وكان رمزاً لوجود مـصر القوى لقرون مضت، إلا أن هنالك نوعاً آخر من أبى الهول المصرى ويكون على شكل كبش وهو تابع لإله آخر هو «آمون».

أبو الهول هو تمثال غامض من عصور مصر القديمة وقد قيل إن الغرض منه حماية قبور الملوك خوفو وخفرع ومنخرع من الأعداء واللصوص.

نحت أبو الهول من الصخر الصلد البازلتى ولربما هيئ لك أن الرأس أصغر من الجسد ذلك لأن الجسد كان مدفونا تحت الرمال فظل محتفظاً بهيكله متماسكاً من عوامل التعرى الصحراوية على عكس الرأس الذى دفن وكشف مرات عدة على مر القرون، أزيلت الرمال عن جسد أبى الهول تماماً فى عام ١٩٠٥ ليكشف عن جمال هذا التمثال.

طول الأقدام ١٥ م، ويصل الطول الكامل إلى ٤٥م، ارتفاع الرأس ١٠م، والغرض ٤م، ولأن تكوين التمثال من عدة طبقات بعضها أنعم من الأخرى فقد تآكلت بعض المناطق واحتفظت أخرى بشكلها ولذلك فقد فقدت الكثير من التفاصيل الدقيقة للشكل الأصلى لقد تأذى وجه أبو الهول كثيراً من عوامل التعرية ومن العوامل البشرية إلا أن هنالك بعضاً من بقايا الطلاء الأصلى يمكن مشاهدتها جوار إحدى الأذنين، وقد كان أبو الهول جميل الألوان.

من هو بانى أبى الهول؟

النظرية الأكثر شيوعاً أن الملك خفرع (٢٥٥٨ - ٢٥٣٢ ق.م) من السلالة الملكية الرابعة هو من أمر ببناء أبى الهول، خفرع هو أحد أبناء خوفو «صاحب الهرم الأكبر) وهنالك ممر مستقيم بين أبى الهول والهرم الأوسط (قبر خفرع) وهو قريباً من نفس عمر الهرم الأوسط الذى بنى عام

٢٥٤٠ق.م، وبعض العلماء قدر عمر أبى الهول ما بين ٧٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ سنة على حساب درجة تآكل الجسد والرأس بعوامل التعرية الصحراوية الشديدة والرطوبة.

لقد اعتقد لوقت طويل أن وجه أبى الهول يشبه وجه الملك خفرع إلا أن تشابهاً مثيراً للدهشة بين وجه أبى الهول ووجه الأخ الأكبر لخفرع وهو الملك دجديفرى الذى حكم لوقت قصير من الزمن، وعلى عكس إخوته لم يبن هرماً له فى الجيزة بل بناه فى أبو رواش حيث يرقد الآن متضرراً بشدة، ويعتقد البعض أن خفرع اغتصب عرش المُلك من أخيه ثم بنى هرمه وأبا الهول فى الجيزة.

واقترح عالم ألمانى فى التاريخ المصرى أن بانى الأهرام الحقيقى هو الملك خوفو نفسه وهو أيضاً بانى الهرم الأكبر إلا أنه احتمال بعيد عن الواقع.

يوجد بين قدمى أبى الهول بوابة تدعى الآن بوابة الأحلام وعليها نقش قصة، تخبرنا قصة الجيل الملكى الثامن عشر أن ثتموسيس السادس - (١٣٩٠ - ١٤٠٠ ق.م) نام عند رأس أبى الهول الذى كان غارقاً بالتراب حتى عنقه. حلم ثتموسيس أن أبو الهول كلمه ووعده أن يصبح ملكاً لكن فى المقابل عليه أن يحرره من رمال الصحراء ويزيل عنه التراب.

لا يعرف ما الذى حدث حقاً فى تلك الفترة لكن على ما يبدو أن ثتموسيس أزال الرمال عن أبى الهول آنذاك، ويعتقد أن الحلم كان قصة ملفقة لأهداف سياسية، نوع من الدعاية لإثبات شرعية الملك ومصداقيته

فعلى حسب اعتقاد المصريين القـدماء أن الآلهة هى من تقرر الفرعون القادم وتدعمه، وربما فى هذه الحالة أبو الهول نفسه.

اللوحة المصنوعة من الجرانيت فوق البوابة تحكى قصة الحلم بالإضافة إلى تسجيل السنة الأولى تحت حكـم تثموسيس وأمامه بوابة الأحـلام يوجد ما يشبـه المذبح حيث كـانت تقوم عـباداتهم الوثنيـة فى عهـد رمسيـس الثانى (١٢١٣- ١٢٧٩ ق.م).

مناطق لم تكتشف حتى اليوم!!

وحيث يعتـبر أبو الهول أعجوبة بحـد ذاتها ناهيك عن الأهرام التى تقف خلفه فإنه يعـتبر لغزاً للعـصور التى تلته، ربما بسبب ارتبـاطه الخفى بالقارة الغارقـة أطلانطس، وقد بدا هذا الاعتقـاد عندما تنبأ عـراف أمريكى يدعى إيدجار سياس بوجود غرفتين أمامـيتين تحت أقدام أبى الهول تحويان مكتبتين مليئتين بسجلات عن أولئك الذين نجوا من دمار أطلانطس.

لفترة لم يعط للأمر أى اهتـمام إلا أن العمال المسؤولين عن الترميم اكـتشفوا مدخلاً مـفتوحاً جزئيـاً جانب أبى الهول وبحسب التقـديرات فإن الباب لم يفتح سوى مرة واحدة فقط، لم تظهر أى من الصور موقع الباب تحديداً.

كذلك تم اكتـشاف سلسلة من الأنفاق عام ١٩٩٥ يبـدأ اثنان منهما تحت أبى الهول، لذلك استعمل فريق العلماء الـغربى السيموغراف ليتكشف لهم عن وجود فـراغات تحت الأرض على شكل حجـرات منتظمة تحت الأرض ببضعة أمتار، تحت القدمين الأماميتين تحديداً!!

حتى اليوم لم يسمح بفحوص أخرى:

نحـن نعلم الآن يـقـينـاً أن هنالك حـجـارات تحت أبى الهـول وحوله،اكتشـافات عظيمة ورائعة لم يكشف الستـار عنها بعد ربما أعظم من اكتـشافات وادى الملوك. . وربما كـانت نبوءة العـراف صحيـحة وأن هنالك صلة بين الفراعنة والحضارة الأسطورية أطلانطس.

طريق أبى الهول:

يعتقد العلماء أن هذا الطريق يمتـد من الأقصر نحو المجلى، ما يميز هذا الطريق أن هنالك حوالى ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ تمثال على جانبى الطريق الذى كان يمثل طريقاً تجارياً هامـاً آنذاك وللأسف لم يبق من تلك التماثيل سوى عدد محدود فقد تحطم بعضها وآخر أخذ للمعارض.

لقد كان أبو الهول مدفوناً تحت طبقات من التراب، فإذا لاحظت الصورة جيداً ستـجد أن أبو الهول يقبع فى حفرة تقل عن مـستوى الأهرام خلفه ثم إن الأهرام تقع بعـيداً عن القـاهرة آنذاك، ولا يعرف تحـديداً متى ظهـر أبو الهول للعـيان من جـديد لكن على ما يبـدو أنه لم يكن يمثل ضـرراً لأحد على أية حال فى العـصور التالية وهو الآن جزء لا يتـجزأ من زيارتك لآثار مصر والأهرام التى يحرسها.

لماذا أبو الهول بدون أنف وأين اختفى؟؟

قيل إن الأتراك هـم من حطم أنفه ولحيته، لكن القـصة الأكـثر شـهرة وتصديـقا هى أن الأنف واللحـية ذهبتـا ضحـية طلقـات مدفـعية نابـليون التدريبـية، إلا أنه بعد عـدة طلقات لم ينجح سـوى فى تحطيم أنفه ولحيـته والتسـبب بأضرار كبـيرة لكن أبو الهـول لم يتحطم وظل صـامداً برغم كل شىء.

توت عنخ آمون
ولعنة الفراعنة

تـوت عنـخ آمـــون
ولعنة الفراعنة

اعتلى عرش مصـر الكثير من الملوك الأفذاذ منذ بداية العصـور التاريخية وكان منهم من ترك لنا الآثار المقامة مثل الأهرامـات والمعابد أو بقايا القصور والمقابر أو الآثار التى عثر عليها فى مـقبرته، وهناك من لم نعثر له على أثر سـوى اسمــه الذى ذكر فى إحـدى الحـوليات أو فى قـوائم الملوك، أو من الإشارة إليه فى النصوص القديمة.

وقد وصلتنا من عصور المصريين القدمـاء عدة قوائم بأسماء الملوك أهمها قائمة سقارة، وقائمة أبيدوس، وقائمة الكرنك، كما وصلتنا حوليات حجر بالرمـو، وبردية تورين، وكـتـابات المؤرخين، وأغـفلت القـوائم المذكـورة والحوليات أسمـاء المغتصبين من الحكم وكذلك المستعـمرين مثل الهكسوس والملوك الذين اعتبروا من الكفرة الذين خرجوا على شريعة المصريين ونسلهم مـثل أخناتون وأخيـه سـمنخ كارع وتوت عنـخ آمون وآى، كـما أغـفلت السـيدات اللائى حكمن مـثل نيـتو كـيريس وسـبك نفرو وحـتشـبسـوت وتاوسرت.

ولو تتبـعنا ملوك عصر الإمـبراطورية أو عصر الدولة الحـديثة (١٥٥٠ - ١٠٨٠ق.م) التى تكونت من ثلاث أسر حاكـمة هى الثامنة عشر والتـاسعة عشر والعشرون، لرأينا أن هؤلاء الملوك ورجالات الدولة عملوا على توسيع

نفوذ الإمبراطورية المصرية فى الشمال والجنوب بدءاً بالملوك العظام أمثال تحتمس الثالث وأمنحتب الثالث ورمسيس الثانى، ونهاية بالملك رمسيس الثالث الذى استطاع أن يصد هجمات شعوب البحر الأبيض المتوسط وغيرهم ممن أرادوا الاستفادة من موقع مصر الاستراتيجى ورخائها واستقرارها وبغية تقليل نفوذها فى الشرق الأدنى القديم.

فقد رأى ملوك الأسرة الثامنة عشرة أن مصر الضعيفة غير المتحدة كانت مطمعاً للآسيويين الذين سموا فى التاريخ باسم الهكسوس، ولذلك عمل هؤلاء الملوك جاهدين على بناء جيش قوى لحماية البلاد وأمنها ثم انفتحوا على العالم القديم شماله وجنوبه مصدرين ومستوردين للحضارة والفنون والعقائد والفكر. ووعى تحتمس الثالث الدرس جيداً فى أن مصر القوية المستقرة التى يخافها الطامعون والمغامرون هى التى تستطيع أن تنعم بحياتها وتستفيد من رخائها وتفجر طاقاتها فى جميع المجالات، وأن مصر القوية تضمن سلامة قوافلها التجارية عبر دروب الصحراء والوديان وفى البحار لوصول المواد الخام اللازمة لحضارتها مثل الأحجار شبه الكريمة والمعادن والأخشاب والحيوانات الأليفة والمتوحشة والمنتجات الأخرى.

وازدهرت مصر فى عصر الأسرة الثامنة عشر ازدهاراً كبيراً وظهر ذلك جلياً فى بناء العمائر الدينية والجنائزية الشاهقة وفى القصور الرائعة وفى المقابر الملكية الفخمة ومقابر الخاصة من كبار الموظفين التى حفلت بالمناظر المصورة للحفلات والضياع أو فى الآثار التى عثر عليها والتى تزين متاحف الدنيا فى العصر الحديث.

وبعد الملك تحتمس الثالث اعتلى عرش البلاد ملوك عظام هم أمنحتب الثانى، وتحتمس الرابع وأخيراً فى عام ١٣٧٦ ق.م، وصل إلى العرش الملك الشاب أمنحتب الثالث الذى كان مولعاً بالفنون مثل أجداده وتزوج من «تى» ابنة الكاهن وريس الفرسان «يويا» وكاهنة حتكور ومين «ثويا» وكانت الملكة «تى» قوية الشخصية، جميلة، استطاعت أن تساند زوجها فى قيادته للبلاد بكل حكمة وشجاعة، وأنجبت له البنين والبنات (أمنمحتب الرابع وإخناتون وسمنخ كارع ومريت آمون وسيت آمون» وزواج الملك أمنحتب الثالث من «تى» يعتبر فى حد ذاته خروجاً على التقاليد الملكية فى الزواج حيث كانت العادة أن يتزوج الأمير أخته غير الشقيقة أو إحدى أميرات القصر الملكى لكى يحتفظ بالدم الملكى فى العائلة. وقد أعلن زواج أمنحتب الثالث على الجعارين التى كانت ترسل الهدايا لكبار رجال الدولة تذكر زواج الملك من «تى» وتذكر والديها دون حرج. وتولى عرش البلاد أمنحتب الرابع (أخناتون) بعد والده، وتزوج أخناتون من نفرتيتى ابنة الحسب والنسب التى أنجبت له ست بنات ولم تنجب له الولد.

واشتهر أخناتون بأنه أول من نادى بإله واحد فى مصر القديمة حيث كانت ديانات التعدد والوثنية سائدة، وأناشيد أخناتون الدينية للإله آتون (الواحد) مازالت ترن فى آذاننا وهى تمجد الإله الواحد «الذى خلق كل شىء» ولم يكن قبله شىء وأصبحت صورته هى قرص الشمس فقط بعد أن كانت صور الآلهة أشخاصاً أو حيوانات أو أشكالاً مزدوجة (حيوان وإنسان) وترك أخناتون حاضرة الأجداد طيبة واختار مكانا جديداً لإقامته هى آخت أتون (أى أفق آتون) وهى تل العمارنة فى محافظة المنيا حالياً.

وأصبح الـفن حراً واستطاع أن يـنفذ إلى جنبـات القصر الملكـى ويصور الفنانون الملك مع عـائلته فـى حرية تامـة. وبعد أن حكم أخناتون حـوالى سبعـة عشر عامـاً (١٣٦٥ - ١٣٤٨ ق.م) كانت معابد آمـون فيها مـغلقة وأوقافها مصادرة، اختـفى الملك وتوفى أيضاً أخوه سمنخ كارع، وكان يعد لأن يكون وليـاً للعرش بعد زواجـه من مريت آتون ابنة أخناتـون الكبرى. واعتلى توت عنخ أمون الصبى الصغيـر ابن العاشرة عرش البلاد حوالى عام ١٣٤٨ ق.م وغيـر اسمه إلى توت عنخ آمـون بعد إعادته لديانة آمـون مرة أخرى، وكان يعتقد بأنه ابن لأمنحتب الثالث أنجبه على كبر من زوجه «تى» التى وصل سنها ٤٨ عامـاً أو أكثر. وجاء هذا الاعـتقاد نتيجـة العثور على تمثال أسد فـى جبل برقل بالسودان كتب توت عنخ آمـون عليه أن والده هو أمنحتب الثالث، كما تأيد ذلك بوجود خصلة شعر الملكة تى ضمن مقتنيات مـقبـرة توت عنخ آمـون فى تابوت صغـيـر جداً. ويبـدو الآن أن النظرية الأقرب للتصديق هى أن توت عنخ آمـون كان ابناً لأخناتون من زوجة ثانية تسمى «كيا» وهناك بعض القرائن التى تؤيد هذه النظرية.

وتزوج الملك الصغير الأميرة عنخ اس ان با آتون ابنة أخناتون من نفرتيتى وأرملته أيـضاً، وغيـر اسمهـا إلى عنخ اس ان آمون واكـتسب من خـلالها شرعية الحكم، وكان صبيـا معتل الصحة ويظهر ذلك فى صوره على الآثار وهو يجلس على العرش فى اسـترخاء أو وهو يقف مستـنداً إلى عصاته أو وهو يصطاد الطيـور جالسـاً على كرسـيه، كـما أنه توفى وهو فى حـوالى العشرين من عمره (عام ١٣٣٧ ق.م) وقد فـحصت المومياء الخاصة به عند

اكتـشافهـا ورجح أن سبب الوفـاة آنئذ هو مـرض رئوى وكذا ورم فى المخ لوجود تجويف كـبير فى جمجمتـه. وعند فحص الجمجمـة مرة أخرى عام ١٩٦٧ ظهر بها شبه كسر بسيط رجح أن يكون سبباً لوفاته نتيجة ضربه بآلة حادة من عمـلاء آى وحور محب الأوصياء على العرش ومـقدرات البلاد، ولكن يبدو أن هذا الاستنتاج بعيد الـصحة، حيث لم يكن لتوت عنخ آمون أعداء، ولم يكن له نفوذ فى تسيير مقـاليد الحكم، وكان محبوباً وأعاد ديانة آمون مرة أخرى وفـتح معابد الآلهة فى العام الثالث من حـكمه بعد أن كان أخناتون قد أغلقـها. ولذلك فلم يكن لأحد أن يدبر مؤامـرة لقتله بل على العكس من ذلك نراه وقد دفن مع كل كنوزه وأثاثه الجنائزى بالتمام والكمال وبعد عمل المراسم والطقوس. ويظهر أن الغضب على هذا الملك جاء نتيجة أنه ينتـسب لعـائلة أخناتون التى غـيرت مـن الديانة التـقليدية للـمصـريين القدماء. ويرجح أنـه عاد إلى طيبة (الأقصـر) العاصمة القـديمة وهجر تل العمارنة.

وبعد وفـاة الملك أرادت زوجته منخ اس ان آمـون أن تتزوج أميراً أجنبـياً حيـثيا لكى يكون ملكاً على عـرش البلاد، وكان عمـرها آنذاك حوالى ٢٢ عاماً مما حـدا بحور محب أن يفشل هذا المخطط ويتـولى هو عرش البلاد. والقصة وصلت لنا مكتوبة على خطاب عثر عليه ضمن مخطوطات الحيثيين فى آسيا الصغرى وتذكر أن ملكة مصر أرسلت مـبعوثاً لملك الحيثيين برسالة تقول فيها «لقد توفى زوجى وليس لدى ولد ويتردد بأن لك أولاداً كثيرين، فأرسل أحدهم ليـصبح زوجى لأنه من المهين لى أن اتخـذ أحداً من خدمى

زوجاً». وهنا جمع ملك الحيثيين رجال بلاطه وأخبرهم بالموضتع الذ يكان غريباً جداً، وقال لهم: «لم يحدث مثل هذا أبداً منذ أقدم «العصور»، ولذلك فقد أرسل أحد رجال بلاطه وطلب منه أن يحضر «أخباراً مؤكدة حيث يبدو أنهم يريدون خداعى».

وهنا أرسلت ملكة مصر خطاباً آخر للملك تقول فيه: «لماذا تقول أنهم يريدون خداعى؟ لو كان لدى ولد، أكان من المعقول أن أكتب لبلد أجنبى بطريقة مهينة لى ولبلدى؟ أنك لا تثق بى، أنت تقول لى هذا. ولقد توفى زوجى وليس لى ابن فهل تعتقد أنه يمكننى أن اتخذ خادماً لى وأجعله زوجى!؟ لم أكتب لبلد آخر ولكنى كتبت لك وحدك، لأنه يقال بأن لك أبناء كثيرين، أعطنى أحد أبنائك، وسوف يصبح زوجاً لى وسوف يصير سيداً على أرض مصر».

ويبدو أنها لم تكن لترضى بزواج أحد رجالات البلاد أو الجيش أمثال أى أو حور محب، والواضح أيضاً أن حور محب قد علم بمثل هذه المراسلات التى أرسلتها الملكة لملك أجنبى، وتربص رجاله بالأمير زنانا ابن ملك الحيثيين الذى كان فى طريقه إلى مصر، وقتلوه. وقد أدى هذا العمل من جانب المصريين إلى قيام حالة حرب بين مصر ودولة الحيثيين وأراد ملكهم «شبيلو ليوما» غزو مصر، ولكنه لم يستطع حيث نظم القائد حور محب دفاعات قوية لحماية حدود البلاد. وهنا قام أى العجوز الذى كان ينتمى لأسرة أخناتون بحكم مصر لمدة عامين تقريباً. وقد دفن توت عنخ آمون فى مقبرة كانت معدة أصلا لخليفته آى فى وادى الملوك، أما مقبرته الأصلية

فكانت تحفر وتهز فى وادى الملوك الغربى ليست بعيدة عن مقبرة أمنحتب الثالث (جده لأبيه) لكن عندما توفى توت عنخ آمون قبل اكتمال مقبرته نقلت حاجياته إلى مقبرة آى التى كانت قد حفرت فى الصخر، ثم زخرفت الجدران برسوم ملونة نفذت ببساطة ودون تجهيز السطح جيداً مثل باقى مقابر وادى الملوك القديم منها.

كشف المقبرة

كانت العادة فى القرن التاسع عشر أن يصدر الوالى أو الخديوى فرماناً يحق بموجبه لبعض الباحثين الأجانب أن يقوموا بإجراء الحفائر لاكتشاف الآثار الموجودة فى باطن الأرض وكانت تقسم بين الحكومة المصرية والمكتشف بنسبة ٥٠٪ لكل منهما، وكان امتياز الحفر فى وادى الملوك الضيق الذى يبعد عن العمران بحوالى ثلاثة كيلو مترات بين جبال الضفة الغربية للنيل بالأقصر، قد أعطى لكثير من المكتشفين من قبل أهمهم الفرنسى فيكتور لوريه ١٨٩٨ الذى كان يعمل لمصلحة الآثار المصرية، والأمريكى تيودور ديفيز ١٩٠٣ - ١٩١٢ واللورد كارنر فون ١٩٠٧ - ١٩٢٧ وغيرهم.

ونظراً لأن الحرب العالمية الأولى قد أوقفت الكثير من النشاطات الأثرية فى مصر ما بين أعوام ١٩١٤ و١٩١٧، فقد عادت الحفائر بواسطة بعثة اللورد كارنر فون بقيادة هوارد كارتر عام ١٩١٧، وكادت أن تتوقف بعد خمسة أعوام لم ينجح كارتر فى اكتشاف آثار هامة فيها، ثم أعاد كرتر حفائره مرة أخرى فى الأول من نوفمبر سنة ١٩٢٣، وفى اليوم الرابع لبدء

الحفـر فى موقف بالقـرب من مدخل مـقبرة رمـسيس السـادس التى كانت مكتشفة من قبل فى وسط الـوادى، عثر على أول درجة من درجات السلم التى قادت بعد ذلك لاكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى الرابع من نوفمبر، وكانت درجـات السلم مدفونة فى رديـم من كسر الحـجارة توصل إلى باب محفـور فى الصخر كان مغلقاً بكتـل من الحجر الجيرى عليهـا «لياسة» من الجـبس والطين وجدت عليـها أخـتـام الجبـانة الملكية (ابن آوى والأقـواس التـسعـة) وبعـد ذلك كان هـناك ممر منحدر ملـىء بالرديم يوصل إلى باب الدخـول للحجـرات السفليـة التى قادت إلى أعظم كـشف أثرى فى تاريخ البشرية، ألا وهو كنوز الملك توت عنخ آمون.

وهنا أرسل كارتر برقية لـلورد كارنر فون يقول فيها: «أخـيراً عثرنا على كشف أثرى مهم فى الوادى مقبرة رائعة أختـامها سليمة، وقد ردمناها لحين حضوركم. أقدم لك التـهانى» وقد حضر كارنر فـون إلى الأقصر بعد ذلك وتم فتح المقبرة بعد إزالة أختـام الملك توت عنخ آمون من على السدة الثانية لمدخل المقبرة حيث وضح أن المقبرة كانت قـد فتحت للسرقة منها فى عصر رمسيس السادس (١١٢٣ق.م) أى بعد أكثـر من ٢١٥ سنة من إغلاقها عام ١٣٣٧، ثم أغلقت المقبرة وختمت مرة أخرى.

ويبدو أن مـا حمى هذه المقبرة الخـاصة بتوت عنخ آمون من السـرقة هو حفر مقبرة رمسيس السادس فوقها وكانت قطع الأحجار الصغيرة المستخرجة منها تلقى فوق مـدخل مقبرة توت عنخ آمون التى «نقـرت» قبلها، ولذلك فقـد كان من الصـعب على لصوص المقـابر فى ما تلا ذلك من عـصور أن

يتذكروا أن هناك مـقبرة أخرى فى هذا المكان الذى توجد به مقـبرة رمسيس السادس.

وقد كـان يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٢٢ يومـاً مشهوداً وعـلامة بارزة فى تاريخ الآثار المصـرية حـيث أزيلت السـدة التى تفـصل بين المنحـدر والحجـرات الداخلية للمقبرة، وعثر فى هذا المكان المسمى بالصالة المستعرضة على الكثير من قطع الأثاث والأوانى الحجرية والعجـلات الحربية وحاويات الطعام التى اعتقد كارتر عند رؤيتها أنه عثـر على مخزن أو خبيئة كنوز وادى الملوك التى جمعت وأنقـذت من لصوص العصور القديـمة، إلا أنه اتضح بعد ذلك أن هذا الأثاث الجنائزى الرابع لشخص واحد هو توت عنخ آمون المسجل اسمه على أغلب هذه القطع الأثرية وهذا مـا جعل كـارتر يكتب فى مـذكراته أن هذا اليـوم هو «يوم الأيام وأعظم مـا عـشت، ومن المؤكـد أننى لا أمل أن أعيـشه مـرة أخرى» وقـد تم فتح حجـرة الدفن فى ١٧ فبـراير ١٩٢٣ فى حضور كارنر فون.

واكتشاف مقبرة توت عنخ آمون سليمة تقريباً فى وادى الملوك عام ١٩٢٢ أوضح لنا الكثيـر من العقـائد الدينية والجنائزية الملكيـة فى مصر القـديمة. فالملك يدفن معه كل متـعلقاته الشخصية التى كان يستـعملها فى حياته منذ كان طفلاً، فهناك لعب الأطفال التى تتحرك أجزاؤها، وهناك لعبة «الضاما» وعصى الصيد المقوسة (البرميرانج) وأدوات الكتابة من أقلام وألواح وألوان، وهناك الملابس والإكسسـوارات والحلى التى تستعمل فى الحياة اليـومية وفى رحلته للعالم الآخر، وضمن أثاث المقبرة كرسى العرش الوحيد الذى وصل

لنا من حضارة المصريين القدماء والأسرة كما وجدت هناك الصولجانات ورموز القداسة والحكم.. ولا ننسى العجلات التى كانت تجرها الخيول وأدوات القتال من سيوف وخناجر وأقواس وحراب، وهناك التابوت الذهبى للملك الذى يزن أكثر من ١١٠ كيلو جرامات والقناع الذهبى المرصع بالأحجار شبه الكريمة ووزنه أحد عشر كيلوجراماً، والذى كان يغطى وجه المومياء.

كما يوجد تابوتان آخران من الخشب المغطى بالذهب وهناك ٣١٤ تمثالاً من التماثيل المسماة المجيبة (الشوابتى) والتى كانت توضع فى المقبرة لكى تقوم بالعمل بدلاً من الملك فى العالم الآخر كما يوجد ٣٢ تمثالاً للملك وآلهة العالم الآخر من الخشب المذهب، وعثر فى المقبرة أيضا على كثير من الصناديق المزخرفة بالمناظر الحربية ومناظر الصيد والترفيه والمقاصير الكبيرة من الخشب المذهب التى ملأت حجرة الدفن ونقشت عليها مناظر من كتب العالم السفلى تصور علاقة الملك مع الشمس والمعبودات المختلفة، وهناك فى المقصورة الكبرى قصة هلاك البشر التى تبشر بغفران الرب لعباده، حتى العاصين منهم.

ومن الآثار الهامة التى عثر عليها فى مقبرة الملك الشاب توت عنخ آمون مجموعة من ١٤٣ قطعة من الحلى الذهبية المرصعة بأحجار شبه كريمة أغلبها يمثل معبود الشمس بأشكاله المختلفة والقمر أيضاً فهناك الأساور والأقراط والخواتم والصدريات والدلايات، بل هناك درع صنع للملك من الذهب ورصع بالأحجار والزجاج الملون وزخرف بأشكال المعبودات التى

تحمى الملك وترعـاه فى حياته وبعد وفـاته، كما عـثر هناك على مجمـوعة هائلة من الأوانى التى صنعت من الألبـستر أهمـها بالطبع ذلك الإناء الذى يمثل علامة الوحدة بين شطرى البلاد يربطهما معبود النيل، كما يوجد هناك مصباح ليلى (أباجورة)من الألباستر صنع بطريقة فنية رائعة تظهر صرة الملك مع زوجته عند إضاءته ولمساعـدة الملك فى رحلته للعالم الآخر أيضاً صنعت له ثلاثة أسرة جنائزية لحمله فوق ظهرها وتصعد به إلى السماوات البعيدة.

ويبـدو أن ما سـرق من المقبـرة فى العـصور القـديمة كـان بعض الحلى والعطور والزيوت وربما تمثال من الذهب لمعـبودة كان موجوداً فى مـقصورة صغيرة من الخشب المغشى بالذهب.

توت عنخ آمون ولعنة الفراعنة:

لغز خارق يـهيم بنا على أمواجه ولا ندرى إلى أى شـاطئ يحملنا، هذا أقل مـا توصف به أسطورة لعنة الفراعـتة التى رسـخت فى أذهان عاشـقى الحضـارة المصرية والـباحثـين والمنتظرين لانبـعاث الأسـرار المرتبطة بالكهنة والفـراعنة القدامى من العـالم الآخر، فليس غـريبا أن الناس كـانوا قديـما يخافون دخول الأهرامات أو الاقتـراب من أبو الهول.. خوفا من الغموض الذى يكتنف حوادث الموت والهـلاك والتى يشاع أنها أدت لوفاة عدد كـبير ممن تجرءوا على فتح مقابر الفراعنة.

بدأت أسطورة لعنة الفراعنة عند افتتاح مـقبرة توت عنخ آمون عام١٩٢٢ وأول ما لفت انتباهم نقوش تقول «سيذبح الموت بجناحيه كل من يحاول أن

يبدد أمن وسلام مـرقد الفراعنة» هذه هى العبارة التى وجـدت منقوشة على مقبرة توت عنخ آمـون والتى تلا اكتشافها سلسلة من الحـوادث الغريبة التى بدأت بموت كثير من العمال القائمين بالبحث فى المقبرة وهو ما حير العلماء والناس، وجعل الكثير يعتقـد فيما سمى بـ «لعنة الفراعنة» ومن بينهم بعض علماء الآثار الذين شاركوا فى اكتشـاف حضارات الفراعنة، وأن كهنة مصر القـدماء قـد صبوا لعنتـهم على أى شـخص يحـاول نقل تلك الآثار من مكانها. . حيث قيل إن عاصفة رمـيلة قوية ثارت حول قبر توت عنخ آمون فى اليوم الذى فـتح فيه وشـوهد صقر يطيـر فوق المقبـرة ومن المعروف أن الصقر هو أحد الرموز المقدسة لدى الفراعنة.

لكن هناك عالم ألمانى فتح ملف هذه الظاهره التى شغلت الكثيرين ليفسر لنا بالعقل والطب والكيـمياء كيف أن أربعـين عالما وباحثا مـاتوا قبل فوات الأوان والسبب هو ذلك الملك الشاب. . توت عنخ آمون.

ورغم أن هذا الملك ليست له أى قيمة تاريخيـة وربما كان حاكما لم يفعل الكثير. . وربما كان فى عـصر ثورة مضادة على الملك إخناتون أول من نادى بالتوحيد لكن من المؤكد أن هذا الملك الشاب قد اسـتمد أهميته الكبرى من أن مقبرته لم يمـسها أحد من اللصوص. فوصلت إلينا بعـد ثلاثة وخمسين قرنا سالمة كاملة وأن هذا الملك أيضا هو مـصدر اللعنة الفرعونية فكل الذين مسـوه أو لمسوه طاردهـم الموت واحداً بعـد الآخر مسـجلا بذلك أعـجب وأغرب ما عرف الإنسـان من أنواع العقاب. . الشىء الواضح هو أن هؤلاء

الأربعين ماتوا.. لكن الشيء الغامض هو أن الموت لأسباب تافهة جداً وفي ظروف غير مفهومة.

وتوت عنخ آمون صاحب المقبرة والتابوت واللعنات حكم مصر تسع سنوات من عام ١٣٥٨ إلى ١٣٣٩ قبل الميلاد. وقد اكتشف مقبرته اثنان من الإنجليز هما هوارد كارتر واللورد كارنار فون وبدأت سنوات من العذاب والعزق واليأس ويوم ٦ نوفمبر عام ١٩٢٢ ذهب كارتر إلى اللورد يقول له أخيراً إنه اكتشف شيئا رائعا في وادي الملوك وقد أسدلت الغطاء على الأبواب والسرداب حتى تجيء أنت بنفسك لترى وجاء اللورد إلى الأقصر يوم ٢٣ نوفمبر وكانت ترافقه ابنته.. وتقدم كارتر وحطم الأختام والأبواب الواحد بعد الآخر.. حتى كان على مسافة قصيرة من غرفة دفن الملك توت عنخ آمون.

وبدأت حكاية اللعنة بعصفور الكناري الذهبي الذي حمله كارتر معه عند حضوره إلى الأقصر.. وعندما اكتشفت المقبرة أطلقوا عليها أول الأمر اسم «مقبرة العصفور الذهبي» وجاء في كتاب «سرقة الملك» للكاتب محسن محمد بأنه عندما سافر كارتر إلى القاهرة ليستقبل اللورد كارنار فن، فوضع مساعده كالندر العصفور في الشرفة ليحظى بنسمات الهواء ويوم افتتاح المقبة سمع كالندر استغاثة ضعيفة كأنها صرخة إشارة فأسرع ليجد ثعبان كوبرا يمد لسانه إلى العصفور داخل القفص وقتل كالندر الثعبان ولكن العصفور كان قد مات.. وعلى الفور قيل إن «اللعنة» بدأت مع فتح المقبرة حيث إن

ثعبان الـكوبرا يوجد على التاج الذى يوضع فوق رأس تماثيل مـلوك مصر. وهذه كانت بداية انتقام الملك من الذين أزعجوه فى مرقده.

ومن جانب آخر اعتقد عالم الآثار هنرى يـرشد أن شيئا رهيبا فى الطريق سوف يحـدث. ولكن ما حدث بـعد ذلك كان أمـراً غريبا تحـول مع مرور الوقت إلى ظاهرة خارقـة للطبيعـة وواحدة من الأمور الغامـضة التى أثارت الكثـير من الجـدل والتى لم يجـد العلم تفسـيرا لـها إلى يومنا هذا، فـفى الاحتفال الرسمى بافتتاح المقبـرة أصيب اللورد كارنار فون بحمى غامضة لم يجد لها أحد من الأطباء تفـسيرا. .وفى منتصف الليل تماماً توفى اللورد فى القاهرة. والأغـرب من ذلك أن التيار الكهربائى قـد انقطع فى القاهرة دون أى سبب واضح فى نـفس لحظة الوفاة وقد أبرزت صـحف العالم نبـأ وفاة اللورد وربطت صحف القـاهرة بين وفاة اللورد وإطفـاء الأنوار وزعمت أن ذلك تم بأمر الملك توت، وقالت بعض الصحف بأن إصبع اللورد قد جرح من آلة أوحربة مسمومة داخل المقبـرة وأن السم قوى بدليل أنه احتفظ بتأثيره ثلاثة آلاف عام وقالت إن نـوعا من البكتيريا نما داخل المقـبرة يحمل المرض والموت، وفى باريس قال الفلكى لانسيلان. . لقد انتقم توت عنخ آمون.

وبعد ذلك توالت المصائب وبدأ الموت يحصـد الغالبية العظمى إن لم نقل الجميع الذين شاركوا فى الاحتفـال ومعظم حالات الوفاة كانت بسبب تلك الحـمى الغامـضة مع هذيان ورجـفة تؤدى إلى الوفـاة. . بل إن الأمر كـان يتعدى الإصابـة بالحمى فى الكثير من الأحيان. . فـقد توفى سكرتير هوارد كارتر دون أى سـبب ومن ثم انتحـر والده حزنا علـيه. . وفى أثناء تشـييع

جنازة السكرتير داس الحصان الذى كان يجر عربة التابوت طفلا صغيرا فقتله. وأصيب الكثيرون من الذين ساهموا بشكل أو بآخر فى اكتشافات المقبرة بالجنون وبعضهم انتحر دون أى سبب الأمر الذى حير علماء الآثار الذين وجدوا أنفسهم أمام لغز لا يوجد له أى تفسير، والجدير بالذكر أن العديد من علماء الآثار صرحوا بأن لعنة الفراعنة هذه مجرد خرافة وحالات الوفاة التى حدثت لا يمكن أن تتعدى الصدفة والدليل على ذلك هو «هاورد كارتر» نفسه صاحب الكشف عن مقبرة الفرعون «توت عنخ آمون» والذى لم يحدث له أى مكروه، وبالرغم من ذلك إلا أن الكثيرين منهم لا يجرؤون على اكتشاف قبور فرعونية أخرى.. ولا حتى زيارة الآثار الفرعونية كما قام معظم الأثرياء الذين يقتنون بعض الآثار والتماثيل الفرعونية الباهظة الثمن بالتخلص منها خوفا من تلك اللعنة المزعومة.

التفسير العلمى للأسطورة:

وفسر بعض العلماء «لعنة الفراعنة» بأنها تحدث نتيجة لتعرض الأشخاص الذين يفتحون المقابر الفرعونية لجرعة مكثفة من غاز الرادون وهو أحد الغازات المشعة وهنا يجب أن نتوقف عند عدة أسئلة تهم القارئ ما هو الرادون؟ أين يأتى الرادون؟ كيف تنبعث تلك الغازات المشعة؟ وما هى الأخطار التى تنتج عن تسربها؟

الرادون هو عنصر غازى مشع موجود فى الطبيعة، وهو غاز عديم اللون، شديد السمية، وإذا تكثف فإنه يتحول إلى سائل شفاف، ثم إلى مادة صلبة معتمة ومتلألئة والرادون هو أحد نواتج تحلل عنصر اليوارنيوم المشع

الذى يوجد أيضاً فى الأرض بصورة طبيعية ، ولذلك يشبهه العلماء بالوالد بينما يطلقون على نواتج تحلله التى من بينها الراديوم والرادون بالأبناء، يوجد نظائر مشعة لليورانيوم فى التربة.

والصخور، تتفق جميعها فى العدد الذرى، ولكنها تختلف فى العدد الكتلى، ولقد وجد أن كل العناصر ذات النشاط الإشعاعى تتحلل بمعدل زمنى معين، وبالرغم من أن غاز الرادون غاز خامل كيمائياً وغير مشحون بشحنة كهربائية فإنه ذو نشاط إشعاعى أى أنه يتحلل تلقائياً منتجاً ذرات الغبار من عناصر مشعة أخرى، وتكون هذه العناصر مشحونة بشحنة كهربية، ويمكنها أن تلتصق بذرات الغبار الموجودة فى الجو، وعندما يتنفس الإنسان فإنها تلتصق بجدار الرئتين، وتقوم بدورها بالتحلل إلى عناصر أخرى، وأثناء هذا التحلل تشع نوعا من الإشعاع يطلق عليه أشعة ألفا التى تسبب تأين الخلايا الحية، وهو ما يؤدى إلى إتلافها نتيجة تدمير الحامض النووى لهذه الخلايا ويكون الخطوة الأولى التى تؤدى إلى سرطان الرئة.

ولكن لحسن الحظ فإن مثل هذا النوع من الأشعة «أشعة ألفا» عبارة عن جسيمات ثقيلة نسبياً وبالتالى تستطيع أن تعبر مسافات قصيرة فى جسم الإنسان، أى أنها لا تستطيع أن تصل إلى خلايا الأعضاء الأخرى لتدميرها، وبالتالى يكون سرطان الرئة هو الخطر المهم والمعروف حتى الآن الذى يصاحب غاز الرادون، وتعتمد خطورة غاز الرادون على كمية ونسبة تركيزه فى الهواء المحيط بالإنسان وأيضاً على الفترة الزمنية التى يتعرض لها الإنسان لمثل هذا الإشعاع وحيث إن هذا الغاز من نواتج تحلل اليورانيوم، لذا فهو

موجود فى التربة والصخور، بالذات الصخور الجرنيتية. والفوسفاتية،وتكون نسبة تركيزه عـالية جداً فى الأماكن الصخرية أو الحجرية المغلقـة، مثل أقبية المنازل والمناجم وما شابه ذلـك مثل قبور الفراعنة المبنيـة فى وسط الأحجار والصخور وهذا بـالفعل ما وجد عند قـياس نسبة تركيـز هذا الغاز فى هذه الأماكن.

وهكذا يؤدى مكوث الإنسان فـترة زمنية طويلة بها إلـى استنشاقه كـمية كبيرة من هذا الغاز الذى يتلف الرئتين، ويسبب الموت بعد ذلك، وهل بلغ العلم بهؤلاء الفراعنة ما جعلهم يعرفون ذلك، ويبنون مقابرهم بهذه الطريقة فى هذه الأمـاكن؟ أم أن بناءهم المقـابر بتلك الطريقـة كـان صدفـة؟ أم أنه السحر كما فسره البعض؟ وأخيراً أهى لعنة الفراعنة أم لعنة الرادون؟

* * * *

الحب والزواج

طقوس فرعونية

الحب والزواج
طقوس فرعونية

عرف المصريون القدماء،كيف يحتفلوا بالحب فى حياتهم قبل أن يخترع الغرب عيدا للاحتفال بهذه العاطفة الأرقى والأجمل والأكثر تعبيرا عن جوهر الحياة فى شتى المجالات والعصور.. وقد كان الحب عند الفراعنة موضعا دارت حوله العديد من الأساطير.. وتحدثت عنه الكثير من الأشعار والأدبيات التى تنقل لنا اليوم صورة عن طبيعة التعبير عن الحب فى تلك الحضارة الموغلة فى القدم، وعن حضور وتداول مفرداته، عن الاحترام الخاص لطقوس الحياة الزوجية والإخلاص لها، ورقة التعبير عن المشاعر العاطفية بما يؤكد أن ألفاظ الحبيب والمحبوبة كانت تجرى دائما على ألسنة قدماء المصريين.

قصص الإخلاص الزوجى:

وتعد قصة الحب الأسطورية الخالدة بين إيزيس وأوزوريس حسب صحيفة العرب أون - لاين، من أشهر هذه القصص فى الثقافة الفرعونية، حيث أحبت إيزيس زوجها حباً قوياً وأخلصت له إخلاصا أسطورياً، إلى الدرجة التى دفعتها لأن تجمع أشلاءه من النيل بعد موته، وتعد تلك القصة من أجمل قصص الحب فى التاريخ.

وهناك أيضاً حب نفرتيتى لزوجها إخناتون الذى وقفت بجانبه رغم تغيير الديانة وذهبت معه إلى تل العمارنة رغم المعارضة التى لقيها وظلت بجواره وفية مخلصة رغم كل ما جابهته من متاعب وصعاب.

ومن الواضح أن الثقافة الفرعونية كانت تعلى من قيم الإخلاص الزوجى، وتضعها فى مرتبة الأساطير الخالدة، التى تحفز خيال الناس على الدوام، لهذا كانت الفتاة الصغيرة عندما تصل إلى سن المراهقة تحلم بالحب والزواج الذى هو السبيل الأمثل للعلاقة العاطفية المؤسسة على ضمانات إنسانية وأخلاقية معتبرة وقد عبر المصرى القديم عن أمنية هذه الفتاة الصغيرة ضمن قيم الإخلاص الزوجى الذى يتوجه الحب، والسهر على ممتلكات الحبيب:

أنت يا أكبر الرجال وسامة.

إن رغبتى هى فى السهر على ممتلكاتك كربة بيت.

وأن تستريح ذراعك فوق ذراعى وأن يغمرك حبى»

مشاعر الاحتشام واللهفة:

ونطالع من خلال قصائد الغزل الفرعونية الكثير من خلجات العشق والعاطفة ومشاعر التحفظ والاحتشام والقلق واللهفة ونجد فى سطورها نضارة ورونق المشاعر العاطفية الجياشة فتلك فتاة صغيرة تتحدث عن حبها:

«لقد أثار حبيبى قلبى بصورته وتركنى فريسة لقلقى وتلهفى.

إنه يسكن قريبا من بيت والدتى ومع ذلك لا أعرف كيف أذهب نحوه.

إن قلبى يسرع فى دقاته عندما أفكر فى حبى»

وكانت الطبيعة فى قصائد أخرى، شاهدا على الحب ولقاءات الأحبة فيقول الشاعر وكأنه يتحدث بلسان شجرة الرمان:

«إن حياتنا تتشابه مع أسنانها

وثمارنا تتشابه مع نهديها

وفى الحديقة كلها أنا أجمل الأشجار

لأننى فى كل الفصول أبقى أبدا

إن العاشقة وصديقها تحت ظلالى يتنزهان»

السحر كعلاج للغيرة:

وتعبر القصائد كذلك عن مشاعر الغيرة التى تحرق قلب العاشقة إذا ما غازل حبيبها فتاة أخرى ومن ثم كانت تلجأ للسحر وعثر على العديد من الوصفات السحرية التى كان هدفها إسقاط شعر الغريمة والنيل من جمالها، فالمعروف أن الشعر هو تاج المرأة وعنوان زينتها وجمالها. . وقد كانت مثل هذه الوصفات تصيب بالصلع الذى كان أشد ما يخشى فى مجال الحب والعشق.

وكانت النساء تستخدم التعاويذ لاستمالة حبيب غير مبال كما كان العاشق المرفوض يلجأ إلى هذه الأساليب بل ويتمادى لدرجة تهديد الآلهة إذا لم يستطيع الحصول على مساعدتهم لإقناع المرأة التى يرغبها.

وعندما كانت الفتاة الشابة لا تقابل فتى أحلامها فإنها كانت تلجأ إلى الإلهة الجميلة حتحور التى تستمع إلى دعاء وتوسل كل فتاة تبكى.

وكانت الفتاة فى مصر القديمة تتزوج فى سن الثانية عشرة أو الرابعة عشر أما الفتيان فكانوا غالبا ما يتزوجون فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة

وكانت موافقة ولى الأمر ضرورية وفى أغلب الأحيان يختار رجلا طيباً لابنته، وعلى سبيل المثال كان الجد ينصح ابنه بأن يختار لابنته رجلاً حريصا ورزيناً وليس بالضرورى أن يكون غنيا.

وذكر نص قديم اكتشفه عالم المصريات سويزو لإعداد شراب للمحبة يكفى الحصول على كمية صغيرة من دم الإصبع المجاور للخنصر باليد اليسرى والذى كان يتطابق مع الطحال وكان يسمى بأصبع القلب.. لكى تدب المحبة فى قلب الحبيب.

وربما يفسر ذلك سبب وضع خاتم الزواج فى الأصبع البنصر باليد اليسرى فى الوقت الحالى.

* * * *

قصة الأخوين

قصة الأخوين

الأخوان وأعمالهما

قيل إنه كـان يوجد فى سالف العـصر والأوان أخوان شقـيقان أكبـرهما يدعى «أنوب» وأصغرهمـا «باتا» وكان «لأنوب» منزل يعيش فيـه مع زوجته وأخيـه الأصغر، وكان الأخ الأصـغر بمثابة الابن لأخـيه الأكبـر، وكان هو الذى يقوم بـعمل الثيـاب لأخيـه ويقوم برعى أغنامـه فى الحقـول ويحرث الأرض ويجنيها كما كان يقـوم بكل ما يطلب منه القيام به فى الحقل، وكان هذا الأخ الأصغر دون شك قـوياً، نشطاً نادراً أن يوجد له مثيـل فى جميع أنحاء البلاد، فقد كانت فيه قوة من قوى الآلهة.

وانقـضت على تلك الحال مـدة طويلة، كان الأخ الأصـغر يرعـى فيـها الأغنام كـعادته كل يوم، ويـعود فى المسـاء إلى المنزل مـحمـلاً بكل أنواع الحشائش واللبن والخشب وجميع منتجات الحقل، ويضع كل هذا أمام أخيه الأكبر الذى كان يجلس بجانب زوجته، ثم إنه كان يأكل ويشرب ثم يخرج ليقضى ليله منفرداً فى المزود وسط أغنامـه، وما إن تشرق شمس يوم جديد حتى كان يقـوم بإعداد وطهى الطعام ثم يقدمه فى النهاية لأخـيه الذى كان يعطيه خـبزاً يأكله خلال وجوده بالحـقل، وبعد ذلك كان يقـوم إلى أغنامه يقودها أمامه إلى الحقول لتـأكل من حشائش الأرض، وكانت الأغنام تقول له وهو يسير وراءها: إن الأعشاب الوفيرة فى ذلك المكان.

وكان يصغى إلى كل ما كانت تقوله، ثم يقودها إلى حيث توجد الحشائش الوفيرة التى تتمناها، وكانت فى رعايته تزداد جمالاً وتتعدد مواليدها إلى حد كبير.

وفى موسم الحرث قال الأخ الكبير «لباتا»: «جهز لنا زوجاً من الماشية للحرث، لأنه قد انحسر عن الأرض وأصبحت صالحة للحرث، ثم احضر إلى الحقل ومعك البذور حتى نبدأ عملنا غداً صباحاً فى همة ونشاط».

وقام الأخ الأصغر بكل ما أمر به الأخ الأكبر، ولما جاء يوم جديد، ذهبا إلى الحقل ومعهم بذورهم وشرعا فى العمل بهمة ونشاط وقد اغتبط قلباهما.

زوجة الأخ

ودام الحال على ذلك وقتاً طويلاً، ثم تصادف أن كان الأخوان فى الحقول، واحتاجا إلى بذور، فأرسل الأخ الأكبر أخاه الأصغر إلى القرية ليحضر البذور فوجد الأخ الأصغر زوجة أخيه تتزين، فتوجه إليها قائلاً: «انهضى وأعطنى بذوراً أسرع بها إلى الحقل لأن أخى ينتظرنى ولا تتأخرى» فأجابته قائلة: «اذهب وافتح المخزن وخذ بنفسك ما تريد، حتى لا تفسد على زينتى» فولج الشاب، إذ ذاك إلى الحظيرة وأحضر منها قدراً كبيراً وأراد أن يأخذ منها كثيراً من البذور، وحمل بنفسه الشعير والقمح ثم خرج، فتصدت له الزوجة قائلة: «ما وزن الذى تحمله على كتفك؟» فرد قائلاً: «ثلاثة أكياس من القمح وكيسان من الشعير، أى خمسة أكياس فى مجموعها، هذا ما أحمله على كتفى» ولكنها توجهت إليه بالقول مرة أخرى: «إنك تتمتع بقوة عظيمة وإنى أرى كل يوم ما يدل على قوتك».

وأرادت المرأة أن تعرف قـوته كرجل فنهـضت وأمسكت به قـائلة: «تعال نقضى ساعة سـوياً هنا، نضطجع معاً، وسوف تنعم كثيراً لأنى أتعهد بأن أحيك لك الثياب الجميلة.

وما إن سمع الشاب ما تفوهت به زوجـة أخيه من قول فاحش حتى غدا هائجاً كالضبع، وتملكها هى الرعب، والرعب الهـائل وحينئذ قال لها: «ما هذا الذى تفوهت به، وأنا أعـتبرك كأمـى وزوجك بالنسبة لى كأبى، فـهو الذى تولى تربيتى والعناية بى؟ ما هذه الرذيلة الكـبرى التى تفوهت بها؟ لا تكررى على مسامعى ما كنت فى سبيل قـوله وأنا أعدك ألا أكرر ما سمعته على أى شخص ولن أدع ما سمعته يخرج من فمى لأى فرد كان».

ثم قـام وعبـأ حمله ثم ذهب إلى الحـقل، ولما وصل بالقـرب من أخيـه الأكبر، شرع معه فى العمل بهمة ونشاط.

الوشاية:

ولما حل المســاء عاد الأخ الأكبـر إلى منزله، بينمـا ظل الأصغـر يتعـهد الأغنام برعايته، ويحـمل على كتفيه كل ما لذ وطاب من منتـجات الحقول ويسوق الأنعام أمامه لتنام فى حظيرتها وكـانت زوجة أخيه الأكبر خائفه كل الخـوف مما تفوهت به من عـبـارات، فأحـضرت شـحـماً وتظاهرت بأنهـا ضربت، حتى يتسنى لها أن تقول لزوجـها :«إن أخاك الأصغر الذى اعتدى على».

فلما عـاد زوجها مـساء كعــادته كل يوم، وما كاد يـصل إلى المنزل حتى وجدها نائمة تدعى المرض، ولم تصب الماء على بدنه كـما كانت تفعل كل

يوم، ولم تضئ أمامه المصباح فبات ليلته فى ظلام حالك، بينما كانت هى تقىء.

واستفسر منها الزوج قائلاً: «أخبرينى من ذا الذى أساء إليك» فأجابته: «لم يسئ إلى أحد سوى أخيك الأصغر، إذ إنه عندما حضر ليأخذ البذور وجدنى جالسة بمفردى فقال لى: «تعالى نمضى ساعة سوياً، ولنضجع معاً» هكذا خاطبنى أخوك الذى رفضت أن أصغى إليه، وقلت له: «ألست أمك؟ أو ليس أخوك الأكبر بمثابه أب لك؟ هكذا أجبته وقد ارتعد منى خوفاً وضربنى حتى لا أخبرك بما حدث. وإنى أقسم لك أنى سأنتحر إذا سمحت له بالحياة، وعليك ألا تصغى إليه عند عودته لأنى أقاسى كلما جال بخاطرى ذكر ذلك العمل المشين الذى كان على وشك اقترافه أمس».

عراك بين الأخوين:

وما إن سمع الأخ الأكبر ما قالته زوجته حتى غدا كضبع هائج وأسرع يشحذ مديته واختبأ وهو ماسك بها خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه الأصغر عند عودته بصحبة أغنامه مساءً.

وهكذا لم تكد تأذن الشمس بالمغيب حتى حمل الأخ الأصغر ما استطاع حمله من نباتات الحقول كعادته يومياً، ثم عاد.

وحدث أنه عندما ولجت البقرة التى ترأس القطيع إلى الحظيرة قالت للراعى: «احذر! إن أخاك واقف هناك ينتظرك لقيتلك بمديته، فعليك بالابتعاد».

وفهم الأخ الأصغر ما قالته البقرة، ودخلت البقرة الثانية وأكدت ما قالته الأولى.

وهنا نظر الراعى من أسفل باب الحظيرة فلما رأى قدمى أخيه الأكبر وهو واقف خلف الباب مستعداً لأن يجهز عليه بمديته، ألقى بحمله على الأرض وشرع فى الجرى هرباً من وجه أخيه الأكبر.

وهنا استغاث «باتا» بالإله «برع هاراختى» قائلاً: «مولاى الرحيم ! إنك أنت الذى تحكم بين الظالم والمظلوم» واستجاب «برع هاراختى» لندائه، وأقام بينه وبين أخيه الأكبر مساحة كبيرة من الماء، مليئة بالتماسيح، بحيث أصبح أحدهما على ضفة، والآخر على الضفة الأخرى، وضرب الأخ الأكبر على يده مرتين، متضايقاً لأنه لم يستطع قتل أخيه.

وناداه أخوه الأصغر من الضفة الأخرى قائلاً: «امكث هنا حتى يطلع النهار ويبزغ قرص الشمس من مكمنه،وعندما يرتفع فى الأفق فسيقوم بالحكم بيننا وسيسلم المذنب للمظلوم ليفعل به ما يشاء، ولن أعيش بعد الآن بالقرب منك، ولن أمكث فى المكان الذى تكون فيه، لأنى ذاهب إلى وادى مظلة الصنوبرة «بان باراصول».

وعندما أضاءت الأرض، وهل يوم جديد، وأشرق «برع هاراختى» سيد الأفق رأى كل منهما الآخر، وتوجه الشاب إلى أخيه الكبير قائلاً: «ما معنى مجيئك فى أثرى لقتلى لخيانة سمعت بها دون أن تسمع ما سوف يقوله لسانى؟ إنى أخوك الأصغر وأنت بمثابة أب لى، وزوجتك أم لى: أليس كذلك؟

وعندما أمرتنى بإحضار البذور، قالت لى زوجتك: هيا نقضى ساعة معاً ونضطجع سويا، ولكنها قلبت الأوضـاع وأخبرت بالعكس، ثم أقسم باسم برع هاراختى قائلا:

أنت تأتى، لتقتلنى غدراً وسلاحك فى يدك، بسبب فاجرة؟

وذهب يبحث عن نبـات جاف، حاد ليقطع به عضـوه، ولما فعل ذلك، قذف بعضوه فى الماء حيث ابتلعتـه الأسماك، وما إن فعل ذلك حتى خارت قواه وأصبح فى حـالة يرثى لها، حتى أن أخاه تألم ألما مـريراً لذلك المشهد القاسى، ووقف هناك يبكى عليه بصـوت عال، دون أن يجرؤ على الذهاب إلى الشاطئ الآخر، حيث كان أخوه الأصغر، حتى لا تلتهمه التماسيح.

باتا يرحل إلى وادى مظلة الصنوبر:

حينئذ ناداه أخـوه الأصغر قائلاً: أهكذا تترك الشر يتـسرب إلى نفسك، بدلا من أن تتوافر حـسن النية نحوى؟ أو على الأقل تذكر إحـدى الخدمات التى أديتها لك؟ عليك الآن بالعـودة إلى دارك ورعاية الأغنام لأنى لن أقيم بعد اليـوم حيث تكون، فإنى ذاهب إلى وادى مظلة الصنوبر، أمـا واجبك نحوى فهو أن تأتى للعناية بى إذا ما سمعت أن مكروها قد حدث لى، لأنى سوف أنتزع قلبى واضعه فوق زهرة الصنوبر، فإذا قطعت الزهرة ووقع قلبى على الأرض وحدث أن أتيت للبحث عنه، كان عليك أن تقضى فى البحث سبع سنوات دون أن تدع اليـأس يتطرق إلى فؤادك، فـإذا ما عثـرت عليه، عليك بوضعه فى دورق من الماء البارد، حـتى تعاودنى الحياة ويتسنى لى أن أنتقم ممن أراد بى سوءا (يقصد زوجة أخـيه)، وعليك أن تفهم أن حدثا قد

حدث لى إن ما تناولت إناء من الجعة طفت الجعة على جوانبه،ولا تبق هنا أكثر من ذلك إذا حدث هذا.

وذهب باتا إلى وادى مظلة الصنوبر بينما قفل أخوه راجعاً إلى منزله وقد وضع يديه على رأسه ولوثه التراب، وما كاد يصل إلى منزله حتى بادر بقتل زوجته ورمى بها إلى الكلاب ثم جلس يبكى رحيل أخيه الأصغر.

خنوم يصنع لباتا زوجة:

وانقضت على ذلك أيام، وذهب الأخ الأصغر إلى وادى مظلة الصنوبر حيث عاش وحيداً يقضى يومه فى صيد وحوش الصحراء ليعود مع المساء، لينام تحت شجرة الصنوبر حيث كان قلبه معلقاً بإحدى زهراتها، ومرت أيام أخرى شيد خلالها قصرا احتوى على كل شيء نفيس وغال.

وفى ذات يوم خرج من قصره فقابل مجمع الآلهة (الأنياء) الذى كان يقوم برحله ويعمل بما فيه مصلحة البلاد كلها، وتناقشت آلهة الأيناد ثم قالت لباتا: ما بالك ياباتا، ياثور الأنياد؟ هل أنت هنا بمفردك بعد أن غادرت مدينتك هربا من زوجة أخيك أنوب؟

حسنا! لقد قتل أخوك الأكبر زوجته، وهكذا تكون قد انتقمت ممن أساؤوا إليك.

وتأثرت الآلهة لحاله ورقت قلوبهم لحزنه، وقال برع هاراختى لخنوم: «اخلق لباتا زوجة حتى لا يظل وحيداً، فخلق له خنوم رفيقة تؤنسه فى وحشته، وكانت هذه الرفيقة ذات جسد بديع يفوق جماله وحسنه نظيره عند أى امرأة أخرى فى البلاد كلها، وكان بها بذرة من كل من الآلهة، وأتت

الحوريات السبعة هاتور لتراها، فقالت فى صوت واحد: ستموت تلك المرأة بحد السيف.

وأحبها باتا كثيراً كثيراً، وكانت تمكث فى البيت بينما يقضى باتا نهاره فى صيد وعول الصحراء التى يحملها إليها كل مساء.

وقال لها باتا: لا تخرجى من المنزل لئلا يخطفك إله البحر، فإنك سوف تعجـزين عن التخلص منه، فـما أنت إلا امرأة، واعلمى أن قلبى مـوضوع فوق زهرة الصنوبر، وأنه يتـحتم على أن أقاتل من يعثر عليـه، وكشف لها عن كل ما يتعلق بقلبه.

خصلة الشعر:

وما إن انقـضت على ذلك عدة أيام حـتى خرج باتا للصـيد كـعادته كل يوم، وخرجت زوجـته تتـريض تحت مظلة الصنوبر الكائنة على مـقربة من دارها، فلمـحت إله البحر يـلاحقهـا بأمواجـه، فشرعت فى الـهرب منه، مسرعة نحو المنزل، ولكن إله البحر ناشد مظلة الصنوبر قائلا: أمسكى بها، فجاءت له مـظلة الصنوبر بخصلة من شعرها حـملها معه إلـى أرض مصر ووضعها حيث كان يعمل الغـسالون فى بلاط فرعون وانتقلت رائحة خصلة الشعـر إلى ملابس فـرعون، فتـشاجـر القائم على حفظ مـلابس الملك مع الغسـالين وقال لهم: هناك رائحـة دهان فى ملابس فـرعون، وكـان حافظ الثياب يتشاجر معهم كل يوم، وكان الغسالون فى حيرة من أمرهم.

وذهب رئيس الغسـالين إلى المغسل وقد امـتلأ قلبه حـزنا من جراء تلك المنازعات المستمرة معـه، ثم وقف على الرمل أمام خصلة الشعر التى كانت

فى الماء، وأمر أحـد رجاله بإحـضارها له، ولما وحـد عطرها طيبـا نفاذا لم يسبق له أن تنسم مثله حملها إلى فرعون الذى أمـر باستدعاء جميع الكتاب والعلمـاء، وقال له هؤلاء، بعد أن شـموا خـصلة الشعر: إن هـذه الخصلة لابنة برع هاراختى الذى هو أصل كل إله، إنهـا هدية جاءتك من بلد آخر، وعليك الآن أن تبعث برسلك للبـحث عنها فى جميع البـلاد، أما الرسول الذى سوف يذهب إلى وادى الصنوبر فأرسل معه عدداً كبيراً ليأتوا بها لك.

وقال الملك: حسنا، حسنا ما قلتم به.

وما إن انقضت على ذلك أيام عدة حتى عاد الرسل الذين كانوا قد ذهبوا إلى البلاد الأجنبـية، ليقـدموا تقريرهم للملك ،أمـا الذين ذهبوا إلى وادى مظلة الصنوبر فلم يعودوا أبدا، فـقد قتلهم باتا جميـعا، ولم يترك منهم إلا واحدا ليـقدم تقريره إلى فرعـون، فأرسل الملك عددا عظيمـا من الرجال، مزودين بالعربات ليقودها إليه، وكانت معهم امرأة وضعت فى يديها أجمل الحلى والمجوهرات، وعـادت تلك المرأة وإياها إلى مصر، واحتـفلت البلاد جميعاً بمجئ زوجة باتا، التى جعلها الملك محظية عظيمة.

باتا يموت ثم يبعث حياً

وتحدث فرعون معـها لتخبره عن أمر زوجها فـقالت لجلالته: عليك قطع مظلة الصنوبر فأرسل فرعون جنوده بمعدات من نحاس ليقطعوا المظلة، فلما وصلوا عندها قطعوا الزهرة التى كان يرقد فيها قلب «باتا» فسقط «باتا» لتوه ميتاً.

وما إن أصــاءت الأرض وأذن بزوغ يوم جديد حتى كـانت مظلة الصنوبر قد هدمت، وكـان الأخ الأكبر «لباتا» فى داره جـالساً يغتـسل، ولما قدم له الخادم إناء من الجعة طف الإناء، وقدم له إناء من النبيذ فتعكر.

وهنا يبادر «أنوب» بتناول عـصاه وبارتداء نعله وملابسه وأسلـحته، وهم بالسير نحـو وادى مظلة الصنوبر، ولما وصل إلى قصر أخيه الأصـغر وجده مسـتلقيـاً على سريره وقد لفظ أنـفاسه الأخـيرة، فبكاه بـكاء مراً ثم ذهب يبحث عن قلب أخيه الأصغر تحت مظلة الصنوبر حيث كان يرقد «باتا» كل مساء، وقـضى أعواماً ثلاثة يبحث عن قلب أخـيه دون جدوى، ولما بدأت السنة الرابعة، تاق قلبه للعودة إلى مصر فقال لنفسه «سأرحل غداً».

ولما أضاءت الأرض وأذن بزوغ فجر يوم جـديد، اتجه «أنوب» نحو مظلة الصنوبرحيث قضى سحابة يومه يبـحث عن قلب أخيه ، ثم عاد وقد صمم على العودة، ليعـاود البحث وفى أثناء رجوعة، عثر على حـبة (من شجرة الصنوبر) فرجع بها إلى داره، ولم تكن تلك الحبـة إلا قلب أخيه الأصغر، وذهب «أنوب» وأحـضر قـدحاً من الماء البـارد ووضع فيـه الحبـة ثم جلس كعادته كل يوم.

وما إن حل الليل، وامتص القلب الماء حتى دبت الحياة فى جميع أعضاء «باتا» وشرع ينظـر إلى أخيه الأكـبر بينما كـان قلبه فى القـدح، وهنا أخذ «أنوب» قدح الماء البارد حيث كان قلب أخيه الأصغر وسقاه إياه، ولما أصبح قلبه فى مكانـه، عاد «باتا» إلى حالتـه الطبيعـية، فأسـرع الأخوان بتقـبيل بعضهما والتحدث سوياً حتى غمرتهما الغبطة والسعادة.

وقال «باتا» لأخيه الأكبر: «انظر سـأتحول إلى ثور كبير مزود بكل الألوان الجميلة، ولكن ستكون صفاتى من تلك التى لم يعرفها أحد بعد، وستركب فوق ظهرى إلى أن تشرق الشمس، فـإذا ما وصلنا إلى حيث تقيم امرأتى، سأنتقم وعليك بعـد ذلك أن تقودنى إلى حيث يوجد فرعـون، لأن القصر الملكى سوف يقـدم لك كل الخيرات، وسـيدفع لك وزنى ذهباً وفـضة ثمناً لقيـادتك إياى إلى حيث يكون فرعون، ذلك لأنى سـأصبح أعجوبـة كبرى وستسعد البلاد جميعاً لوجودى بها وعليك بعد ذلك أن تعود إلى قريتك.

«باتا» ينقلب ثوراً:

ولما أضـاءت الأرض وأذن ببزوغ فـجر يوم جديد انقلب «باتا» إلى الشكل الذى كان قد أخبر به أخاه الأكبر، وامتطى «أنوب» أخاه وجلس فوق ظهره إلى الفـجر وعندمـا وصل الثور إلى حـيث كانت المرأة الخـائنة، علم الملك بوجوده وذهب ليراه فسر سروراً عظيـماً وأمر بتقديم الذبائح تكريماً له وهو يقول: «إنها لأعجوبة عظيمة تلك التى تحدث».

وشارك الشعب الملك فرحه وعم السرور والابتهاج، ودفع الملك ما يوازى وزن الثور ذهباً وفـضة إلى الأخ الأكبر، وذهب هذا ليقيم فى قـريته بعد أن اصطحب معه حشداً من الخدم أهداهم إليه الملك الذى أحـبه حباً يفوق حبه لأهل البلاد جميعاً.

وانقضت على ذلك أيام عدة ولج على أثرها الثور إلى المطبخ واقترب من المحظية قائلاً لها: «ها انذا على قيد الحيـاة» فسألته: «ومن أنت؟» فأجابها: «أنا «باتا» الذى يعلم علم اليـقيـن أنك اقتلعـتى شجـرة الصنوبر على يدى

فرعـون، حتى أحرم من نعـمة الحياة، ولكن ها أنذا أمـامك حيا فى هيـئة ثور.

وهلع قلب المحظيـة خوفـاً إذ سمـعت مـا قاله زوجـها باتا، وأسـرعت بالخروج مـن المطبخ وقضت مع الملك يومـا ذاق فيـه جمـيع أنواع البهـجة والسرور، وقـالت له بعد أن قـامت بتسليتـه بمختلف فنون الإغـراء: أقسم بالآلهة أن تنفذ لى ما أطلب.

فقال لهـا: سأنفذ كل ما ترغب المحظية، وأنا فى غـاية الغبطة ثم أنصت إليها فقالت له: أريد أن آكل كبد الثور، فوجم الملك وحزن حزناً شديداً.

وما إن أضاءت الأرض وأذن ببـزوغ فجر يوم جديد حـتى أمر الملك بأن تقام وليمـة فاخرة تقدم فيـها الذبائح التى سوف يضحى بهـا مع الثور وأمر الملك بأن يرسل كـبيـر القصـابين فى البلاط الملكى ليـذبح الثـور، وقد تم ذلك.

باتا يتحول إلى شجرتى لبخ:

ولما حمـله القوم على الأكـتاف ضـربه القصـاب فى عنقه (مـرة أخرى) فسـقطت نقطتان من الـدم عند طرفى باب فرعـون، إحداهما علـى جانب الباب الرئيسى والأخرى على الجانب الآخـر، ونبتت قطرتا الدم وتحولتا إلى شجرتين كبيرتين من أشجار اللبخ.

وذهب الحـراس يقولون للملك: لقـد ترعرعت شـجرتا لبخ عند الـباب الرئيسى خـلال الليل، فانشـرح قلب الملك وشاركـته البلاد كلـها فرحـته، وقدمت الذبائح للآلهة شكرا.

ولما انقضت أيام عـدة على تلك الحادثة ظهـر جلالته فى شـرفة «اللابى لازولى» وقد طوق عنقه إكليل من الأزهار الجميلة، وامتطى الملك عربة من الذهب وخرج من القصر ليرى شجرتى اللبخ، وخرجت المخظية فى حاشية خاصـة بها تتبـع فرعون، وجلس الملك تحت إحـدى الشجـرتين، والمحظية تحت الشجـرة الأخرى، وهنا وجه باتا كلامـه إلى زوجته قائلاً: «إنه أيتـها الخائنة: أنا باتا، إنى مازلت على قيد الحياة رغما عنك، وأنا واثق تماماً أنك اقتلعت شجـرة الصنوبر لفرعون من أجلى، وأنك عملت علـى قتلى عندما تحولت ثوراً.

ولما انقـضت أيام عـدة على ذلك،نهـضت المحظية تصـب الماء لجلالتـه ليشـرب، وأظهرت أمامـه كل صنوف الدلال والإغراء حتى انتشى،وأقسم بالآلهة قائلا إن كل ما ترغـبه المحظية سوف ينفذ ليسعد قلبـها، فقالت له: فلتأمر جلالتك بقطع شـجرتى اللبخ ليصنع منها أثاث جميل، فـأمر فرعون فى الحال بأن تنفذ رغبة المحظية، فذهب عـماله المهرة وقطعوا شجرتى اللبخ بينما كانت الزوجـة الملكية، المحظية تنظر إليهم فى غـبطة، وبينما هى على هذه الحال، إذ بقطـعة من الخشب تتطاير وتـدخل فمهـا، فتبـتلعهـا وتغدو حاملا فى الحال، وصنع كل ما طلبت من خشب الشجرتين.

باتا يتحول للمرأة الأخيرة:

ولما انقضـت أيام عدة على ذلك، وضـعت المخظية طفـلا ذكرا، وذهب الرسل يقولون للملك: لقد أنجـبت طفلا ذكرا، ثم حمله القوم إليـه، فعين فرعـون له مرضعة وحـراسا، واحتفلوا بمقـدمه فى طول البلاد وعرضـها،

وقضى الملك يوماً سـعيدا وعم الطرب والسرور جمـيع أهل القصر، وأحب الملك الطفل حبا جما، ونصبه أميرا وريثا فى البلاد جميعا.

ولما انقضت أيام عدة على ذلك، ومضت سنوات طويلة على تعيينه وريثا للعرش، قضى الملك نحبه، وهنا استـدعى كل رؤساء العمال ببلاط فرعون ليقص عليهم كل ما مر به من مغـامرات، وأحضروا له زوجته، وحكم بينه وبينها فحكم القـوم بأنه كان على حق، واستدعى أخاه الأكبر ونصـبه أميراً وريثا فى البلاد جمـيعاً، ولما قضى على عرش مصـر ثلاثين عاما ذهب إلى الحياة الأخرى وصعد أخوه على العرش وأصبح ملكا من بعده.

وانتـهى هذا بسـلام تحت إدارة كـاتب الخـزائن كاجـوبو التـابع لخـزائن فرعـون،وكذا الكاتب حورى، والكاتب مـيريموبـى، وقام بنسخ المخطوط الكاتب «إنيا» حامل الكتاب، ومن يقـول عن هذا الكتاب سوءا أصبح توت عدوا له.

* * * *

قصة الصدق والكذب

قصة الصدق والكذب
أو ماعت وجيريج

فى الزمن الذى كان رع يحكم فيه مصر كبشر فأن، عاش شقيقان، الصدق وهو طاهر من الخطايا يعيش وفقا لقوانين ماعت، بينما يمتلك شقيقه الكذب أكثر القلوب سوادا، وفى أحد الأيام طلب الصدق من أخيه الكذب أن يستعمل سكينا من سكاكين أخيه، وتردد الكذب لكنه وافق وعند انتهاء اليوم اكتشف الصدق أنه أضاع سكين أخيه، فرجاه أن يسامحه ووعده بأن يعوضه بدلا منها بأفضل منها لكن الكذب أصر بأن السكين كان سكينا غير عادى ولا يمكن تعويضه لكن الصدق من جانبه اصر بأنه كان عاديا وأنه سيعطى أخاه واحداً أحدّ منه وأكبر حجما لكن الكذب تعلق بسكينه الذى أصبح فجأة غيرعاديا! وشعر الصدق بالعجز أمام أخيه الكذب.

أحضر الكذب أخيه الصدق أمام تاسوع آلهة لونو ليحكموا بينهما وأصر على ادعاءاته بينما الصدق ماخوذ بمدى زيف شقيقه ووقف فى رهبة بينما حكمت الآلهة لصالح شقيقه لأنه عجز أن يدافع عن نفسه، وحينما طلب الآلهة من الكذب أن يحدد العقوبة التى يراها ردا لحقه أجاب بأن تؤول جميع ممتلكات أخيه إليه وأن يعمل الصدق خادما عنده بعد أن تقتلع عيناه.

بعد أن تم تنفيذ الحكم وشاهد الكذب شقيقه أعمى شعر للمرة الأولى بالذنب، ولم يستطع تحمل الشعور فأمر بقتل الصدق، وشعر رجال الكذب

بالشفقة على سيدهم السابق فقرروا أن يتركوه وسط الجبال الوعرة مع بعض المؤن، وأن يتركوا مصيره للآلهة.

وتلمس الصدق طريقه عبر الجبال بينما يتناقص ما لديه من مؤن، رقد ليستريح متمنيا الموت ليتخلص مما هو فيه، وبعد وقت قصير مرت امرأة جميلة وخادمتها فعثرت على الشاب العاجز الكفيف، وهو على شفا الموت أخذته إلى عزبتها وأمرت له بحمام من الزيتون وأطعمته أفخر الطعام وألبسوه ملابس من الكتان، ثم منحته وظيفة حارس الباب، ولكن سرعان ما أصبحا عشيقين، ونتيجة لذلك ولدت منه طفلا كبر ليصبح رجلا قويا، ووسيما وفى أحد الأيام تساءل من أبوه وتوسل إلى أمه كى تخبره فأشارت إلى الصدق الذى كان يجلس كفيفا حارسا للباب وأخبرته أنها أحبته حبا حقيقيا لكن القوانين تمنع زواج سيدة من النبلاء بواحد فقير كفيف.

اشتد غضب الشاب على نحو بالغ، وتحدث إلى أمه بتحد للمرة الأولى، وأعلن أن والده لن يجلس بعد اليوم كخادم وحارس على البوابات. وذهب إلى الصدق وأخذ بيده إلى العزبة، وألبسه ملابس النبلاء، وشعرت الأم بفخر شديد وأقامت حفلة وأعلنت فيها أن الصدق لم يكن فقط والد ابنها وإنما كان أيضاً حب عمرها.

هنا تعجب الابن من معاناة والده ولم يكن أمام الأب الا أن يخبر ابنه بالقصة كاملة فتعهد ابن الصدق بالثأر، وفى اليوم التالى اختار الابن أفضل الثيران وأكبرها واتجه إلى عزبة الكذب وفى طريقة توجه إلى راع للغنم وأقنعه أن لديه عملا يستغرق منه بضعة أيام، ولن يستطيع أن يأخذ الثور

معه، وطلب منه أن يأخذ الثور عنده وأعطاه ملبغا من المال نظير رعاية الثور ووافق الراعى.

خلال هذا الوقت مر الكذب بالراعى لينتقى ثورا لوليمة سيقيمها فى بيته فأعجبه الثور فاختاره فأخبره الراعى بأنه ليس للبيع وأنه يعتنى به لحساب آخر سيعود لكنه أزعن للأمر فى النهاية وأعطاه الثور، وفى اليوم التالى أتى ابن الصدق ليأخذ الثور وحاول الراعى أن يعطيه أى ثور بدلا منه لكنه أبى ورفض، واشتد سخطه ورفع دعوى إلى آلهة لونو التسعة قائلا بأن ثوره ليس له أى مثيل بين الثيران وأنه يبلغ من الطول عشرة أقدام وأنه لا يوجد أى بديل أو شبيه له.

لكن الكذب أكد أنه كان فقط يزيد قليلاً عن باقى الثيران كما أنه وآلهة لونو التسعة دهشوا من وصف الابن لثور عملاق لم يره أى إنسان أبدا، وهنا رد الابن وكشف عن شخصيته قائلا: وهل رأى أحد سكينا كالتى وصفها الكذب هنا قبل سنوات ففضح خداع وأكاذيب عمه أمام الآلهة التسعة.

حول الآلهة أنظارهم إلى الكذب الذى طلب المغفرة ولأنه متأكد أن الصدق قد قتل على أيدى رجاله اقترح فى دهاء أنه لو كان الصدق حيا فإنه يقبل أن يعانى نفس المصير الذى كان على أخيه أن يواجهه وسر الآلهة بهذا الاعتراف واختيار العقوبة وأرسلوا من يبحث عن الصدق وأحضروه أمام الجمع ففزع الكذب لمرأى أخيه وفزع أكثر عندما وجد أنه يجر إلى عقوبة الموت التى نطقها بلسانه، أما الصدق فلم يسترد أملاكه فحسب بل أن الآلهة كانوا رحماء به فردوا إليه بصره، ولما استعاد وضعه كرجل نبيل مضى قدما كى يتزوج من أم ابنهما الرائع.

قصة الاستيلاء على يافا

قصة الاستيلاء على يافا

كُتبت في عهد تحتمس الثالث، ووُجدت فـي أجزاء متفرقة منقوشة على ما يعرف باسم بردية هاريس.

القصة:

عندما تمرد أمير «يافا» على مـصر، قتل العديد من الجنود المصريين الذين كـانوا يتمـركزون فى تلك المديـنة الفلسطينيـة، والمحطة المهمـة على طريق التجارة مع الشرق وبطبيعة الحال، لم يعجب هذا الأمر الفرعون، واستدعى المسئولـين، والكتبة والنبلاء لإعـداد خطة للتعامل مع يافا، وخـيم الصمت بعد أن تأمل الجـميع الموقف، وعندها تقدم قائد يدعى (تحـوتى) عرف عنه الدهاء والشجاعة، واقـترح خطة تحدث فيها (تحوتى) عن صـولجان سحرى يمتلكه الفـرعون، وهى عصا يمكن أن تجـعل الشخص غير مـرئى أو تغير هيئته تمامـا وفى إطار خطته للاستيلاء على «يافا» طلب من الفـرعون مائتين من أشجع جنوده، كمـا طلب السماح له باستخـدام الصولجان لفترة مـؤقتة وكان على الجنود أن يـنقلوا فى مائتين من الـبراميل الكبـيره المغلقـه عليهم والمحملة على ظهور مائتين من البغال لإرسالهم إلى يافا.

واستـخدم (تحـوتى) قوة شـخصيـته وقـدرته على الإقناع حتى نـال ثقة الفرعون الذى أعجب بخطته وحصل (تحـوتى) على جميع ما طلبه من عون متعهداً بدوره باحتلال «يافا» والثأر لمصر.

واتخذ (تحوتى) الخطوة الأولى فبعث برسالة إلى أمير «يافا» ادعى فيها أنه تخلص من حبه (لمصر) وتخلى عن ولائه للفرعـون. وقال إنه فر من مصر لأن حياته فى خطر بعـدما خرج عن طاعة الفرعون، ونتـيجة لذلك عرض إخلاصه وخدماته على «يافـا» وسبقت القائد سمعته، حـيث كان الأمير قد سمع الكثـير من القصص عنه، ورغم ارتيابه إلا أنه كـان تواقا لأن يكسب مثل هذا القائد الداهية إلى صفه وأنهى (تحوتى) رسـالته بذكر عصا الفرعون السحرية التى وعد أن يـهبها للأمير كدليل على ولائه الجـديد «ليافا» وابتلع الأمير الطعم، وأعد للقاء فى مقبرة بميدان القتال.

وتناول الأميـر والقائد الطعام والشـراب بنهم معا، وربما كانت الصـداقة الجديدة تدعـو للسرور، ولكن سـرعان ما اسـتبد الفـضول بالأميـر، وكان شغوفا بالتأكد من أن العصا السحرية بحوزة (تحوتى) فأحضر العصا بلطف، ثم رفعـها عاليا وهبط بهـا على رأس الأمير الذى سـقط على الأرض ولجأ (تحوتى) لسحر العـصا، فحول نفسه ليـصبح فى هيئة أمير «يافـا» بينما قيد الأمير ووضعه فى حقيبة جلدية كبيرة الحجم وأمر (تحوتى) الذى أصبح الآن متخفيا فى هيئة الأمير الحرس المتـمركزين خارج الخيمة بمراقبة القائد المصرى المقيد فى الحقيبة الجلدية بعد أن حاول اغتيال الأمير ثم طلب البغال المائتين، التى يحـمل كل منها برمـيلا ثقيـلا مدعـيا أنهـا تحوى غنائم من (تحـتمس الثالث).

وما إن صـارت البغال داخل حدود المدينه حـتى قفز الجنود من البـراميل وذبحوا حرس «يافا» وتقدموا للاستيـلاء على البلدة بأكملها، واستسلم بقية

محـاربى «يافا» للمصريين لعلـمهم أن أميرهم (الذى ظل غـائبا عن الوعى ومقيـدا) سيضرب عنقه وسـيق العديد من سكان «يافا» ليخـدموا فى بيوت الأثرياء كعـبيـد وخدم ورقى (تحـوتى) إلى أعلى منصب حكومى فى أرض مصر.

* * * *

أسطورة
إنقاذ البشر من الفناء

أسطورة
إنقاذ البشر من الفناء

هذه أسطورة من أروع أساطير المصريين القـدماء، تحدثوا بها لكى يظهروا من طرف خـفى ما عـرف عن الإنسـان من ميل إلى الـشر. وعن تعـسفـه ومغالاته فى الاستبـداد إذا ترك له الحبل على الغارب، فأغضب هذا النزوع إلى الشر الإله الكبير وأراد أن ينتقم من هذه المخلوقـات الضعيفة التى شقت عصا الطاعة على خالقها ولكنه فى آخـر الأمر أخذته الرأفة وعفا عنهم إبقاء على من بقى منهم، عـسى أن يكون فى ذلك عـبرة ومـثل يضـرب للبشـر الضعاف فيردعهم، ويقوم من ميلهم إلى الشر والخيانة.

يبدو أن هذه الأسطورة كـانت محـبوبة عند المصريين لأننـا عثرنا عليـها مكتوبة فى أكثر من مكان وكان الملوك أنفـسهم يتعلقون بما انطوت عليه من حكمة عميقة. فأمروا بنقشهـا على جدران مقابرهم الداخلية لتصحبهم إلى الدنيا الثانية.

ومن بين المقابر التى خلدت الأسطورة مقابر سيتى الأول ورمسيس الثانى ورمسيس الثالث فى وادى الملوك بالأقصر.

ويمكننا أن نؤرخها فيما بين القرن الرابع عشر والثانى عشر قبل الميلاد.

وهذا هو نص الأسطورة:

«حدث فـيما مـضى من الزمان حين كـان «رع» يسكن الأرض. وبعد أن خلق الناس وخلق كل ما يدب على ظهر الأرض. كما خلق الآلهة. أن كان

الناس يتقدمون إلى الإله الأكبر بكل فروض الطاعة والعبادة اللازمتين لمقامه العلى».

«ولكن الإله كان قد داهمته الكهولة بتعاقب السنين والأجيال وأصبح عجوزاً، عظامه من فضه،ولحمه من ذهب، وشعره من اللازورد».

«فأخذ الناس يتهكمون عليه ويرمونه بالضعف والهزال».

وعلم جلالة الإله ما كان يدور بين الناس وما كانوا يهمسون به. فغضب وأمر الآلهة التى كانت فى ركابه قائلا: «ادعوا لى عينى[١] على عجل وكذلك «شو»[٢] و «تفنوت»[٣] و «كب»[٤]و «نوت»[٥] وكذلك كل الآلهة من الآباء والأمهات الذين كانوا معى عندما كنت أسكن «نون»[٦].

«وكذلك ادعوا «نون» نفسه وليأتِ مع أفراد حاشيته.

ادعوهم جميعاً فى السر حتى لا يراهم البشر.

وأحضروهم إلى القصر الكبير».

وحضر هؤلاء الآلهة جميعهم واجتمعوا سراً حتى لا يعرف البشر بأمر اجتماعهم. وعندما دخل عليهم الإله خروا ساجدين بين يديه واضعين أيديهم على الأرض[٧].

---

(١) كانت عين سرع» إله الشمس جزءاً مستقلا منه نسبوا إليها كثيراً من المعجزات السحرية كما جعلوا منها إلهاً قائماً بنفسه.

(٢)إله الهواء. (٣) إلهة الرطوبة (moisture).

(٤) إله الأرض. (٥) إله السماء.

(٦) المياه الأزلية التى ظهر فيها هذا الإله بمفرده ثم قام بعملية الخلق.

(٧) علامة الاحترام

ثم هتفوا قائلين:

«تحدث إلينا، حتى نعرف ما خطبك».

فقال «رع» موجهاً كلامه إلى «نون»:

«أي «نون» يا أكبر الآلهة سناً يا من وجدت فيه.

«يا أقدم الآلهة. أدعوك لتدلي برأيك.

«إن البشر الذين خلقتهم قد تآمروا ضدي.

«إن البشر الذين خلقتهم من عيني يتهامسون ضدي.

«إنهم يقولون في قلوبهم متهكمين:

«انظروا! إن الملك أصبح كهلا، تحولت عظامه إلى

«فضة ولحمه إلى ذهب وشعره إلى لازورد.

«هل لك أن ترشدني إلى ما أنا صانع بهم.

«من أجل ذلك دعوتك لاستشارتك.

«أعلم أنني لم أقدم على إفنائهم حتى أسمع منك ما تنصحني به».

وتكلم «نون» قائلاً:

«أنت أيها الإله العظيم.

«أنت يا من تفوق خالقك في عظمتك.

«أنت الابن الذي فاقت قوته قوة أبيه.

«أرسل عينك لتفتك بالمتآمرين عليك»

«عندئذ سوف يختفوا من فوق الأرض».

فأرسل «رع» عـينه لتفتك بالبـشر حسب نـصيحة «نون» ولـكنهم عندما شعروا بها تفرقوا فى الصحارى واختلفوا بين الصخور.

فقال «رع»:

«انظروا كيـف هرب البشر إلى الصـحارى واخـتلفوا بين الصـخور. إن قلوبهم ترتجف هلعاً من عينى».

عندئذ تقدمت جموع الآلهة إلى الإله «رع» بنصيحة أخرى وهى أن يرسل عينه بين الناس على الأرض لتفتك بهم عن كثب.

وقالوا له:

«دع عـينك تنزل إلى الأرض لتقـبض على أولئك الذين يتـآمرون بالشـر ضدك.

«إن عينك لا تكفى قوتها أن تقوم بمهمتها هذه.

«فلترسلها فى شكلها كابنتك «حاتحور».

فنزلت هذه الإلهـة إلى الأرض وفتكت بالبـشر المنتـشرين فى الصـحراء ورجعت إلى أبيها.

فقال لها الإله:

«مرحباً بك يا «حاتحور» يامن قمت بما أدعو إليه من «أعمال».

فقالت الإلهة «حاتحور»:

«يامن تحيا من أجلى[1].

(١) كانت هذه الكلمات تقال فى مستهل القسم عند المصريين القدماء.

«لقد كنت جبارة قوية بين البشر.

«مهمتك هذه أقوم بها بقلب مفعم بالسرور والهناء»..

فرد عليها الإله قائلا:

«إن فتكك بهم سوف يوطد سلطانى عليهم.

«ولكن كفى ما قمت به.

«لا تقتلى منهم بعد ذلك فرداً».

أما الإلهة فإنها لم تستمع إلى ما قاله لها أبوها . واستمرت طوال الليل تفتك بالبشر وأخذت تسبح فى دمائهم وخشى «رع» فى صبيحة اليوم الثانى أن تأتى» «حاتحور» على ما تبقى منهم.

فصاح فيمن حوله:

«ادعوا لى على عجل رسلا يسابقون الريح.

«تفوق سرعتهم سرعة الظل».

فحضر الرسل على الفور وأمرهم جلالة الإله:

«اذهبوا إلى «إلفنتين» وأحضروا لى كل ما تستطيعون حمله «من أل «ددى»[(١)]

وعندما أحضر الرسل الـ «ددى» إلى الإله أمر بصحنه كما أمر بعض

---

(١) هذه مادة حمراءاستعملها المصرى فى الحصول على اللون الأحمر ولا نستطيع الجزم عما إذا كانت مادة نباتية أم حجرية. إلا أنه من المعروف أن الفنتين (أسوان) تحوى منجماً لما نسميه المغرة (Ocre) ولعلها هى ما أراد الإله إحضاره من هناك.

الخادمات بإعداد كميات كبيرة من الجعة وخلطها بأل «ددى» فأصبحت فى لونها تشبه دماء البشر. ثم ملأ بها سبع آلاف جرة.

وفى الصباح أمر «رع» أتباعه أن يحملوا هذه الجرار بما فيها من جعة حمراء وسكبها فى المكان الذى اعتزمت «حاتحور» أن تفتك فيه بمن تبقى من البشر.

وقال الإله متمتما:

«ما أجمل ما فعلت.

«سأحمى ما بقى من البشر من فتكها».

وبدت الحقول كبركة كبيرة تعلوها طبقة من الجعة إلى ارتفاع ثلاثة أكف[1].

ولقد تم ذلك كله بأمر من جلاله هذا الإله.

وفى الصباح المبكر أتت الإلهة «حاتحور» إلى هذا المكان الذى غمره ذلك الفيضان وتمتعت برؤية وجهها الصبوح مرتسما على سطحه فضحكت وعم السرور نفسها.

ثم شربت ولذ لها الشراب حتى ثملت فرجعت تترنح ولم تقو على إتمام ما اعتزمته من الإتيان على ما تبقى من البشر.

وأقيمت الاحتفالات وسر الإله، ورضيت نفسه بنتيجة هذا العمل.

* * * *

(١) استعمل المصرى القديم عرض الكف كوحدة فى المقاييس وهو ما يعادل $\frac{1}{7}$ ٧ سنتمترات تقريباً.

رأى المصرى فى هذه الأسطورة أشـياء أخرى غير مـا قدمت إذ ربط بين الفيضان الذى نتج عن سكب هذه الأوانى السـبع من الآلاف وبين الفيضان الحقيقى الذى يغمر البلاد مرة كل عام.

ومما يؤكد لنا هذا الربط أن المصـرى القديم كان يحـتفل بعيد «حـاتحور» الذى يمتـاز بكثرة الشراب والإقبـال على تعاطى الجعة فى شـهر توت وهو أول شهور فصل الفيضان.

وفى هذه الحالة يمكننا أن نقارن بين غـضب«رع» على البشر وبين القحط والجفاف الذى يسبق شهور الفيضان فى مصر .

ووصلت إلينا بعض نماذج من هذه القصـة لم تكن نهايتها كـما ذكرنا بل أتبعوها بفصل آخر يتحدث عن هذه الآلهـة وثورة غضبها عندما ذهب عنها تأثير الخمر.

فنددت بأبيها الذى منعها من إكمال مهمتـها والقضاء على البشر جميعهم واعتـزمت الهجـرة من مصر واتخـذت لنفسـها شكل أنثى (زوجـة) الأسد واختارت السودان مكاناً لسكناها.

فحزن «رع» لفراقها وأرسل وراءها الرسل بعد الرسل يتوسلون إليها حتى يقنعوها بالرجوع إلى بلدها. ولكن جهودهم كانت دائماً تبوء بالفشل.

وفى آخر الأمر التجـأ الإله إلى الأخذ بنصيحة مجـمع الآلهة. فأدلوا له برأيهم ونصحـوه أن يرسل حكيم الآلهة «تحـوت» فهو الوحـيد الذى تؤهله صفات الحكمة والدراية بخلق الآلهة أن يقنعها بالعودة إلى مصر.

فاتخذ «تحوت» لنفسه شكل القرد وذهب إليها وجدها تتجول فى صحراء السودان وعندما رأته زمجرت فعرف أنهـا لا تزال غاضبة والتجأ إلى حيلة. عله يجلب السرور إلى قلبها.

فقـام بقفزات مـختلفة وحـركات لطيفـة جعلت الإلهة تهـدأ بل تبدأ فى الضحك.

وعندئذ انهمك «تحوت» فى أساليبـه المضحكة حتى لاحظ أن حالة الإلهة أصبحت تسمح له بمفاتحتها بأمر المهمة التى أتى من أجلها.

وفى آخر الأمر نجح ورجعت معه الإلهة وسعدت مصر بقدومها كما فرح أبوها بلقائها بعد غياب طويل.

* * * *

أسطورة

رع وإيزيس

أسطورة رع وإيزيس

عندما لاحظت إيزيس قوة رع حسدته على سيطرته على كل المخلوقات، فتامرت لاكتشاف هذا السر لتكون أكبر من الآلهة الآخرين وتحكم البشر.

ولأن إيزيس كانت متمرسة فى علم السحر جيداً، فقد فكرت فى استخدامه فى اغتصاب سلطة والدها العليا، وكانت قوته تكمن فى أنه وحده الذى يعرف اسمه السرى، إذ كان له إله وبشر يعرف اسمه، لكنه يحتفظ بالاسم الأكثر فاعلية لنفسه حتى لا يستخدمه الآخرون فى السيطرة عليهم من خلال استخدامه، لذا كان اسم رع السرى لابد أن يحافظ عليه جيداً.

وكان رع قد تعب من تكرار عمله اليومى حتى أن لعابه كان يسيل من فمه فينزل على الأرض، فأسرعت إيزيس بأخذ نقطة من هذا السائل المخلوط بالأرض وشكلته على هيئة ثعبان الكبرا المرتبط بالملوك والآلهه فى مصر، ولأن تلك الدمية على هيئة الثعبان تحتوى على مادة رع الخاصة، فإن رع لديه حماية ضد سمها، وأخفت إيزيس الحية فى طريق رع اليومى، وفى اليوم التالى عندما كان رع يمر فى طريقه لدغته الحية بكل قوتها، فانتشر السم فى جسده، وآلمه كثيرا، لأن الحية كانت من مادته نفسها،ولم يتمكن من أن يدافع عن نفسه أمامها،حتى أن صرخة الألم والغضب التى خرجت منه هزت الأرض والسماء.

واجتمع أبناؤه ليعرفوا ماذا أصابه؟ ارتعشت أرجله وأسنانه، وكان هو نفسه متحيراً من الألم، فقد كان يعرف أنه آمن من مثل هذه الهجمات طالما أنه احتفظ باسمه سراً وأخبرهم أنه كان للتو خارجا ليلقى نظرة على العالم الذى خلقه عندما ضرب شيئا ما وتسبب فى هذا الألم الفظيع مما جعله يسخن ويرتعش، وأمر كل أبنائه وبقية الآلهة ممن يعرفون السحر بالحضور ليستشيرهم، فحضر جميع الآلهه فى حزن وتواح، ولكنّ أحداً لم يستطع تخفيف الألم لأنه حدث بواسطة مادة رع، وبقيت إيزيس صامتة بين هذا الحشد حتى فشل الآخرون فى إيجاد الشفاء لآلام رع، ثم قالت له: ما هذا أيها الأب المقدس، أيؤلمك ثعبان؟ أيؤذيك مخلوق من مخلوقاتك؟ وعدته أن تجد بسحرها له الدواء، وصف رع أعراض ألمه وهو مازال مضطربا من شدة الألم.

وطلبت منه إيزيس بهدوء وسلاسة أن يخبرها باسمه السرى لتستخدمه فى سحرها، فظن رع وهو تحت تأثير الألم أنه يستطيع أن يخدع إيزيس فقال لها: أنا صانع الأرض والسماء، أنا مؤسس الجبال، أنا خالق الماء، أنا صانع أسرار الأفقين، أنا الضوء والظلام، أنا صانع الوقت وخالق النهار، أنا خالق اللهب، أنا خبرى فى الصباح ورع في السماء وأتوم فى الليل.

عرفت إيزيس أنه لم يخبرها بالإسم السرى، فانتظرت قليلا ليعمل السم فى الجسد أكثر، وعندما زاد الألم قالت له اسمك الحقيقى، أسمك السرى، لم يكن بين ماقلته، أخبرنى به لأخرج السم من جسدك، لأن هذا الذى أعرف اسمه فقط هوالذى سيشفى منه سحرى.

فى هذه اللحظة، كان ألم رع كبيرا، فأخذ إيزيس بعيداً حتى لايسمعه أحداً، وبدأ معاً مقايضة مثل التجار، ولم يكن رع فى حالة جيدة تسمح له بالمساومة، فطلبت إيزيس أن يعطى ابنها حورس كلتا عينيه الشمس والقمر، فوافق، وهمس لها باسمه السرى.

كانت إيزيس وفية بوعدها وشفته من أله، ولم تخبر إيزيس أحداً عن الاسم السرى بالطبع حتى لا يشاركها أحد القوة، واحتل حورس مكان جده الأعظم فور حصوله على العينين، فأصبحت عين رع هى عين حورس، وحصل رع على التقاعد من أعماله اليومية، وهكذا أصبح حورس أيضا كبير الآلهة.

* * * *

أسطورة
بتاح الحامى الملكى

أسطورة
بتاح الحامى الملكى

سمع سيتنا الكاهن الأعظم لبتاح أن كتاب تحوت مدفون فى مقبرة نفر كابتاح الأمير الذى مات أثناء سرقته للكتاب، فدخل سيتنا المقبرة ووجد الكتاب السحرى ملقى بين قرنى نفركابتاح وزوجته، وعندما طالب سيتنا بالكتاب أخبرته الزوجة عن قصة تضحيتهم التراجيدية من أجله، ورجته ألا يأخذ الكتاب، ولكنه أصر فتحداه نفركا بتاح فى لعبة السينت، فوافق سيتنا بحماس معتقدا أنه يمكن أن يفوز بالكتاب بسهولة، ولكن نفركابتاح صنع له تعويذة وفاز عليه مرة تلو الأخرى، وعند كل نصر كان نفركابتاح يضرب سيتنا على رأسه برقعة الشطرنج ليدفنه فى الأرض وعندما أصبح سيتنا مدفوناً حتى عنقه فى الرمال، نادى على أخيه المرافق له وقال: أسرع واذهب وأخبر الملك بكل ما حدث لى، وأحضرلى طلاسم أبى بتاح وكتبى السحرية، وفور وضع الطلسم على رأس سيتنا قفز حرا والتقط الكتاب وفر هاربا من المقبرة، وفى هذه اللحظة انطفأ نور المقبرة وظل نفركا بتاح وزوجته فى ظلام، وعندما قدم الكتاب لرمسيس عذره الملك من أخطاره ولكن الكاهن سيتنا فتح الكتاب وقرأه لكل من أراد الاستماع.

أثناء سيرسيتنا فى معبد بتاح بممفيس شاهد سيدة جميلة فأرسل خادما ليسأل عنها، فعلم أن اسمها تابوبو ابنه كاهن باستيت أتت لعبادة بتاح، فأرسل سيتنا خادمة عارضا عليها بكل جرأة عشرة قطع ذهبية إذا وافقت أن

تضاجعه، فأجابت السيدة أنا ذات مقام رفيع ولكن إذا حضر هو لمنزلها فى باستيس فلن تكون هناك مخاطرة اكتشاف أمرهما.

وأسرع سيتنا لميعاده الغرامى راكبا قارباً، وعندما وجد منزلها صعد إلى غرفة مزينة بها طاولات طعام ومقاعد، وأمضى هو وتابوبو اليوم فى حديث ودى واحتفال، وكلما شاهد جمالها شعر بالجوع ليس للطعام، ولكن لجمال أنوثتها.

عندما رجاها أن ترضى رغبته ذكرته أنها ذات مقام رفيع، وأنها ستجيب طلبه فقط إذا وقَّع على وثيقة يعطيها فيها كل ممتلكاته ،وبلا تردد طلب ورقة ووقع لها على كل ثروته، وضعت تابوبو ثوبا شفافا أبرز كل مفاتنها فازدادت رغبة سيتنا لها، واستغلت تابوبو الفرصة وطلبت منه إحضار أبنائه ليوقعوا على الوثيقة أيضاً، وبلا تردد جعل سيتنا أبناءه يوقعون بأسمائهم ويتخلون عن حقوقهم.

احترق صبرسيتنا وطالب تابوبو بالمقابل ولكنها صدته هذه المرة أيضا قائلة: الآن أقتل أولادك، حتى لا ينازعون أولادى على ممتلكاتك، لم يكن من السهل التراجع الآن فقام سيتنا بذبح أولاده وألقى بجسدهم من النافذة.

وعندما كانت الكلاب تنهش أجسادهم فى الطريق وكان سيتنا يستعد للحصول على رغبته قادته تابوبو إلى فراش من العاج والأبنوس فخلع ثيابه وأظهر رغبته، وأصبح نيل المتعة التى دفع ثمنها غاليا قريبا جدا، وذهب ليأخذها بين ذراعيه ولكنها أطلقت صرخة عالية، وفى الحال وجد نفسه وحيدا عاريا وكأنه فاق لتوه من حلم.

فى هذه اللحظة كان الملك رمسيس مارا، وكان سيتنا يعرف أنه لابد أن يقف إجلالا لكن حالته جعلته يخجل من الوقوف، فرأى الملك ابنه وقال له: لماذا أنت فى هذه الحالة المخجلة؟ فعرف سيتنا أخيراً أن نفركابتاح قد سحره فأخبره والده عن القصة، فنصحه رمسيس بالرجوع إلى ممفيس حيث يمكن أن يجد أولاده ، كما اقترح على رجاله أن يضعوا الثياب على الأمير الواعى بنفسه.

بعد أن عاد سيتنا لأبنائه ذكره رمسيس أنه قد حذره من أخذ الكتاب تحوت، والحل الوحيد هو إعادته وعقاب ذاته.

عندما دخل كاهن بتاح الأعظم حاملا الكتاب، كانت زوجة نفركابتاع سعيده للغاية لرؤيته بالرغم من أن القرينين (كا) كان قد رتبا لإحراجه، فقالت له الزوجة: إنه الإله الأعظم بتاح الذى أعادك سالما، فرد زوجها بغلظة: إنها غلطتك، التى حذرتك منها من قبل، وكعقاب أرسل نفركا بتاح سيتنا للبحث عن جسدى زوجته وابنه وإحضارهم لتنضم أرواحهم لمقبرته، وبعد أن أنجز هذه المهمة ووضع كتابا بين الزوج والزوجة امتلأت المقبرة مرة أخرى بالضوء.

* * * *

أسطورة

رع وحتحور

أسطورة
رع وحتحور

فى شيخوخة رع نظر له العالم بانحطاط وعدم احترام، وذلك العالم الذى خلقه خصوصا الجنس البشرى الذى خلقه بدموعه،وكان البشر يسخرون منه ويقولون باستهزاء «انظروا إلى رع فقد شاخ عظامه كالفضة لحمه كالذهب وشعره مثل اللازورد، واعترض رع على تسميته بالعجوز، وبالرغم من تشبيهه بالمعادن النفيسة فذلك يظهر أن عظمه وجسده تحول لما لم يكن عليه فى شبابه فغضب من البشر جميعاً وقرر أن يلقنهم درسا، فنادى على أتباعه المقربين واستجابت الآلهة لندائه بهدوء حتى لا يشعر البشر بما يحدث،ويحاولون الاحتماء من الانتقام، واجتمع الآلهة فى قصر رع السرى لمعرفة لماذا استدعاهم أبوهم، سجدوا أمامه وسألوه ماذا يريدهم أن يفعلوا له.

وصف رع نون بأكبر الآلهة: انظر إلى أولئك البشر الذين خلقتهم، كيف يدعوننى؟ أخبرنى ماذا أفعل لهم فأنا لن أذبحهم حتى أسمع كلمتك الأخيرة، أجاب نون الإله بما أراد أن يسمعه رع واقترح أن يرسل رع حتحور،قرى عين أبيها، لقتل من تعدى على الإله العظيم، وذكر لرع أنه ما زال أعظم الآلهة وعرشه مقدس، ولابد أن يظل البشر يخافونه، وسريعا ما وافقت الآلهة الأخرى على هذه الخطة السهلة، وأرسلت حتحور فى شكل سخمت أنثى الأسد المتوحشة للانتقام.

واندفعت سخمت لمهاجمة فريستها وكانت مثل الأسد تستمتع بالذبح وسفك الدماء، وسرعان ما علمت البشر أنه لا يجب أن يسخروا من كبير الآلهة.

وبينما كانت تقتل كل من تلقى هنا وهناك، كان والدها يتابع عملها بسعادة فى أول الأمر، ولكن سريعا قرر أن انتقامه اكتمل وطلب منها التوقف قبل أن تقضى على كل الجنس البشرى: تعالى فى سلام ياحتحور، ألم تنهى ما طلبت منك أن تفعليه؟

ولكن لم يكن هناك من يوقفها بعد أن ذاقت طعم الدماء، فصرخت «أستحلفك بحياتك يارع أنا أعمل بجد واستمتع من كل قلبى» وظل نهر النيل لعدة ليالٍ أحمر اللون من الدماء، وخاضت حتحور فى الدماء حتى صار لون أقدامها قرمزيا، حتى أشفق رع على البشر، ولكن لم يكن يوجد رجل أو إله يستطيع وقف القتل الوحشى عند الآلهة التى بدورها تستمتع كأنثى الأسد، وبسبب قواها المعروفة لم يستطع أحد وقف القتل ولا حتى رع نفسه، لذا كان يجب وقفها إما بالإقناع أو بالخداع، فأرسل رع رسله بدون علم حتحور إلى جزيرة القتتين بأسوان ومعهم أوامر بإحضار كمية هائلة من فاكهة اليوسفى، وهو نبات يسبب نوماً عميقا، ثمره قرمزى وأحمر قانى وعصيره بلون حمرة الدم، بعد أن أحضره الرسل إلى رع فى هليوبوليس بسرعة الريح، أسرع النساء حافيات الأقدام لصنع بيرة وخلطوها باليوسفى لتعطيها لون الدماء، وظلوا يعملون طوال الليل بينما حتحور مستلقية وصنعوا سبعة آلاف قدر من البيرة الحمراء وأنهوا مهمتهم تماماً حتى عندما

بزغ الفجر، وأشرف رع وباقى الآلهة على العمل طوال الليل وشعروا بالرضا عن أنفسهم، وأخبرهم رع أنه يستخدم العصير لإنقاذ البشر من الدمار الكامل وأرسل رسله لنشره على كل الأرض، استيقظت حتحور بعد فترة قصيرة استعدت لاستكمال مهمتها الممتعة، فمرت عبر الأرض باحثة عن فريسة جديدة لإشباع رغبتها فى العطش ولكنها لم تر أحداً ما عدا الأرض المملوءة بما يشبه الدماء، وشعرت بالسعادة منه وكلما شربت أكثر أرادت أكثر وأخيراً غطت فى نوم عميق، لم يعد عقلها يحثها على القتل، وناداها والدها بهدوء : تعالى تعالى فى سلام أيتها الإلهة العظيمة العادلة.

وهكذا انتهى حبها للذبح، وأمر رع بإقامة احتفال كبير فى المستقبل لهذا الحديث فى مدينة آمون وهو المكان الذى كانت تعبد فيه الإلهة حتحتور.

* * * *

الفهرس

الموضوعات	الصفحات

من اصدارات دار مشارق

أشهر الأساطير
الإغريقية

حسن عبد الغفار

دار مشارق

أشهر الأساطير
الفارسية

د. أحمد حسين بكر



دار مشارق